١٣٥

روايات احلام

فراشة الحب

الخطوة الأخيرة

فراشة الحب

روايات احلام

الخطوة الأخيرة

ـ انت منذ الآن قد اصبحت شاناً من شؤوني ... وإذا اثبت أنك مطيعة فسأسعى إلى تزويجك برجل يليق بك ...

ـ ما الذي سيحدث إن كنت لا أريد الزواج ؟

ـ كل النساء يردن الزواج ، لست أعتزم أن ابقيك عندي إلى الأبد ...

كانت هذه معركة إرادات بين جوليا وارد وغاي جيرارد ، فهل يستطيع أن يفرض عليها الزوج الذي يظن أنه يناسبها ، أو أنها ستختار من تريد ؟

وماذا سيفعل بها غاي إذا قررت جوليا أنه هو العريس المناسب ؟ بل ماذا ستفعل بها صديقته الحميمة لورين ؟

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل. الإمارات ٦ د. مصر ٤ ج. ليبيا
سوريا ٤٠ ل.س. قطر ٦٠٠ ر. المغرب ١٥ د. اليمن
الأردن ١ د. البحرين ٦٠٠ ف. تونس ١٫٥ د. السودان
الكويت ٤٠٠ ف. السعودية ١٠ ر. عمان ٦٠٠ ب. العراق

١ ـ قنفذ صغير مزعج

حدقت جوليا وارد إلى الرجل الفرنسي الطويل القامة، ذي الشعر الأسود، الذي ملأها حضوره القوي بشعور من التمرد والرهبة. لقد شعرت بتسلطه حتى قبل أن تفتح له الباب، وذلك من طريقة طرقه على الباب. تجولت عيناه عليها، وبعدما تأكد من أنها الفتاة التي يبحث عنها قدّم نفسه باقتضاب، غاي جيرارد. تجاوزها قبل أن تدعوه إلى دخول شقتها المؤلفة من غرفة واحدة. ثم ألقى عليها وعلى الغرفة نظرة استخفاف.

فراشة المحبة

ـ أقفلي الباب يا آنسة.

تكلم بلطف فأطاعته جوليا، ولكن اعترى وجهها التورد لأنها أدركت أنها قد تكون أشبه بسمكة وقعت في الشباك. عرفت من هو غاي جيرارد مع أنها تقابله للمرة الأولى. تزوجت خالتها منذ ثلاثين عاماً أرمل كان عنده ولد يبلغ السابعة من عمره، ومن الواضح أن الرجل الذي يقف أمامها هو ذلك الابن. ارتعشت جوليا غضباً عنها. كانت أمها كريستين وارد فرنسية الأصل ولأنها تزوجت رجلاً إنجليزياً غضبت عليها عائلتها وحرمتها من الميراث.

أصبح إيف جيرارد كوالديها، في عداد الأموات وتساءلت جوليا في نفسها عما إذا كان يشبه ابنه غاي جيرارد في لغته الانجليزية المتقنة وأناقة ملابسه التي تجعله أشبه بابن مدينة منه بابن راعي بقر من كامارغ يملك هكتارات لا تعد ولا تحصى من الأراضي. سحبت جوليا نفساً بحدة وهي

ترمق قسمات وجهه القاسية. لم يكن عندها فكرة عن سبب وجوده هنا ولكنها تمنت فجأة لو أجابت على رسالة خالتها الأخيرة.

قطع غاي جيرارد الصمت المشحون فجأة وكأنه يفكر في الأمور ذاتها وسألها:

ـ لقد كتبت مافيز إليك، لماذا لم تردي عليها؟

ـ كنت مريضة.

وقعت نظراته الجليدية على وجه جوليا الشاحب فتبين لها أنه لا يعتبر عذرها شافياً.

ـ لو أجبت عن الرسالة لأعفيتني ربما من هذه الرحلة.. ألم تدركي أنها كانت قلقة عليك؟ إنها في غاية الانزعاج منذ فقدت والديك، وهي لم تعد شابة يا آنسة.

أصبح وجه جوليا أحمر من الاستياء فهو يعيد على مسامعها ما قالته لها خالتها سابقاً، ولكنها أصيبت بأنفلونزا قوية جعلتها تعجز عن النهوض من الفراش بسهولة ورغم تحسن صحتها ما تزال تبدو وكأن لا قوة لديها للقيام بأكثر من الأعمال الضرورية. امتعضت من تأثير حيوية غاي جيرارد عليها وشكت في أنه عرف يوماً ما هو شعور المرء إذا ما فقد القوة.

تمتمت «أنا آسفة» مع أنها تعرف أن لا جدوى من محاولة إفهامه الأمر.

قسا صوته: لقد طلبت منك القدوم للإقامة في فرنسا.

وافقت جوليا بتردد: «لقد كان ذلك آخر ما طلبته منها».

رمقها بصرامة باردة:

ـ أوافقك الرأي، وعليه يا آنسة أفضل أن تحزمي حقائبك وتجهزي نفسك للرحيل معي حالاً.

اسودت عينا جوليا وأجفلت مرتبكة، لم تستطع أن تأخذ كلامه على محمل الجد، ولكنها شعرت بإعياء أجبرها على الجلوس. لقد ظنت أن ساقيها قد أصبحتا قويتين لذا جزعت عندما وجدت أنهما ما تزالان واهنتين ضعيفتين.

اعترضت على ما قاله لها:

ـ أنا... لا يمكنني القيام بذلك يا سيدي، حتى ولو قبلت دعوة خالتي. عليّ القيام ببعض الأعمال، فلا يمكنني ترك كل شيء والرحيل.

أجابها ببرود:

ـ لا، بالتأكيد لا.. سأمهلك ساعة للقيام بكل ذلك.

فغرت جوليا فاها وتقطعت أنفاسها. رمقت خطوط وجهه المهيمنة وفمه القاسي المستقيم، وشعرت بهبوط في صدرها. كان واضحاً من الطريقة التي طرح بها جانباً اعتراضاتها أنه لن يصغي إليها. أجبرت نفسها على التكلم بهدوء وكانت في الوقت ذاته تحاول أن تقاوم شخصيته المسيطرة:

ـ أرجوك سيدي كن عاقلاً! إن قررت السفر إلى فرنسا فباستطاعتي معرفة الطريق بمفردي ولا داعي لإزعاج نفسك بي، لقد سبق أن سافرت بمفردي.

ـ فقط مع والديك على ما أظن.

رفت عينا جوليا:

ـ هذا غير صحيح.. فطالما اعتدت على اللحاق بهما في العطل المدرسية عندما يكونان كعادتهما خارج البلاد.. وكنت أسافر أكثر الأحيان بمفردي.

تمتم «يا إلهي» وكأنه وجد ذلك متعذراً على الفهم.

ـ من الآن وصاعداً يجب أن تأخذي رأيي أولاً عندما ترغبين في الذهاب إلى أي مكان.

نظرت إليه جوليا وقد اكتشفت فجأة أن غاي هو الذي سمح لخالتها بأن تدعوها للإقامة معهما، وأن ليس هنالك من شخص في مزرعته يستطيع القيام بأي شيء دون إذن صريح منه. كانت أمها قد أخبرتها بأن نظام الإقطاع القديم ما يزال قائماً في بعض مناطق فرنسا، إن مظهر غاي جيرارد المتمدن جعل غريزتها تحذرها منه، فلو ذهبت معه حالاً لما استطاعت الهروب منه أبداً.

فراشة المحبة
www.liilas.com

تحركت بعدم ارتياح وهو يستطرد على المنوال ذاته:

ـ يظهر أن والديك ارتكبا أخطاء بأمور كثيرة، ولكن لحسن الحظ أن الأوان لم يفت، فأنت لم تبلغي العشرين من عمرك، وما إن تصبحي في منزلي حتى أبذل قصارى جهدي لأعيد التوازن إلى حياتك.

ـ التوازن.. ماذا تقول يا سيدي؟

تأملها بحدة: سمعتني يا آنسة. يظهر أن ذكاءك من النوع العادي ولكننا سنعيد في فرنسا تثقيفك.

لم تعرف ما الذي يقصده، ولكنها كانت متأكدة من أن الأمر لا يعجبها. وهنا لم يقربها من فكرة الرحيل معه، فأجابته بتحدٍ وبصوت مرتفع:

ـ ليس عندي رغبة في الإقامة في منزلك يا سيدي، وليس باستطاعتك فرض إرادتك عليّ.

أجابها بصوت حاقد:

ـ وأنت لا تستطيعين الإقامة هنا، فلندن ليست المكان المناسب لإقامة فتاة شابة بمفردها خاصة وهي تسكن في غرفة مزرية بلا عمل أو مال.

شهقت جوليا بعنف وأجابته بحدة: «كيف عرفت كل هذه الأمور»؟

ـ لقد قمت بتحريات كاملة.

همست بعدم تصديق: هذا غير ممكن!

ابتسم قليلاً فاستطاعت أن تلمح أسنانه البيضاء القوية ولكن ذلك لم يشر إلى ارتياحه، فقد انتفض وبدا أن صبره قد عيل.

ـ كل شيء ممكن! سأكون شاكراً إن تلطفت وتوقفت عن الجدل وفعلت ما يطلب منك. من الطبيعي أن تقلق خالتك بشدة عليك، وما جئت إلى هنا إلا لأخذك إليها، ولكن يجب أن أتأكد أولاً من عدم وجود شيء بك يزيد حزنها بدل أن يخففه.

نظرت جوليا إليه وقد اجتاحها اليأس. أي دفاع تملكه في مواجهة هذا الرجل الذي تعتقد أن أفعاله مثل كلماته قاطعة؟ أعادت الكرة بعناد:

ـ لا يمكنك أن تفرض ذلك.

نظر إليها ساخراً:

ـ لقد أخبرتني صاحبة الشقة أنك تدينين لها بإيجار.

لم تقابل صاحبة الشقة منذ أسبوعين، لقد قرعت السيدة لوند باب الشقة ولم تستطع النهوض لفتح الباب بسبب شدة مرضها. لن تخبر غاي جيرارد بذلك فلو عرف مدى مرضها لاتخذه مبرراً إضافياً لاستعمال سلطته.

أجابته بغضب: «ليس من شأنك بحث أموري معها».

عاد إليه الصبر وقال لها:

ـ أنت من العائلة يا جوليا ولهذا اعتبرك شأناً من شؤوني.

ـ لست من عائلتك، ولا صلة قربى حقيقية بينك وبين خالتي، فهي زوجة أبيك فقط.

أجابها ببرودة: إن لم تكن مافيز أمي فهي زوجة أبي، وهذا الوضع لا يلغي واجباتي تجاهها أو مسؤوليتي عنك.

كان يتكلم بصرامة وتوقف قليلاً وكأنه يفسح لها المجال لتستوعب ما يقوله، ثم استطرد قائلاً:

ـ إذا برهنت عندما نصبح في فرنسا أنك مطيعة فسأقدم لك دوطة كبيرة تخولك الزواج برجل مقتدر.

فتحت جوليا فمها دهشة ورمقته ببرود:

ـ دوت..؟ هل تقصد بذلك الدوطة؟

رفع حاجبيه الغامقين ورد بأستخفاف:

ـ بالتأكيد! فلن تتمكني من الزواج برجل ذي مركز بدون دوطة.

تأتأت جوليا: «وهل أنت الذي سيدبر لي هذا الزواج؟»

ـ بالطبع.

لم تستطع جوليا النطق، ومع أنها عرفت أن من الحكمة طرح هذا الموضوع جانباً لم تستطع التوقف، فردت عليه بتشنج:

ـ ما الذي سيحصل إن كنت لا أريد أن أتزوج؟

لوى فمه وتأملتها عيناه ببرودة:

ـ كل النساء يردن الزواج، ولست أعتزم يا آنسة أن أبقيك عندي إلى الأبد. قليلاً من اللحم على عظامك في بعض الأماكن ولون العافية على وجنتيك، وتصبح قسمات وجهك البيضاء الزهرية رائعة لا تقاوم.

ولكنها لن تكون أبداً رائعة لا تقاوم بنظره. أحست جوليا عندما تلاقت عيونهما وكأنه ينظر إليها كامرأة للمرة الأولى، وشعرت أن نظرته العميقة الثاقبة تحرك شيئاً في أعماقها لم تعِه قط. وبالفعل كانت تشعر بالوخز في أعصابها، اعترتها الحيرة من جراء هذا الإحساس الذي تزايد عندما سمعت نفسها تقول من غير تعقل:

ـ لا خبرة عندي بهذه الأمور.

رد عليها ضاحكاً: لا تتوقعي مني أن أزودك بها أيضاً.

شعرت بالاحمرار يصل إلى منابت شعرها. خبت ضحكته ولكنها شعرت أنه ما يزال يتسلى بها، فقالت:

ـ هل تظن أن بأستطاعتك أن تكلمني بهذه الصراحة لأنني ابنة خالتك؟

ـ أنت لست ابنة خالتي يا آنسة.

تثاءبت جوليا:

ـ لقد ظننت، تبعاً لما قلت لي ومن اهتمامك بشؤوني، أنك تعتبرني ابنة خالتك.

تمتم وقد فقد صبره:

ـ جوليا! أنا أقوم بذلك من أجل خاطر خالتك وليس هناك من سبب آخر. والآن هل ستتعقلين وتحزمين ملابسك أم تريدين مني القيام بذلك؟

استسلمت جوليا فجأة، والحقيقة أنه لم يكن عندها من القوة ما يكفيها للاستمرار في هذا الجدال. لقد خبت ومضة القوة القصيرة وتركتها ضعيفة بصورة تدفعها إلى الإجهاش بالبكاء. قد تكون الزيارة إلى فرنسا جيدة ولو كانت أمها على قيد الحياة لأرادت منها أن تذهب.

ومع ذلك، وعلى الرغم مما قاله غاي جيرارد، فهي غير مضطرة للبقاء طويلاً هناك. ولم تعتقد، في أي وقت، أن خالتها تريد منها أن تبقى معها بصورة دائمة، خاصة وأن لها ابنة.

وصلا في المساء إلى باريس التي لم تشاهدها من قبل، ونظرت حولها بدهشة وهما في طريقهما من المطار. كانت أمها تتردد دائماً في العودة إلى فرنسا ولم يكن والدها يحاول دفعها إلى العدول عن رأيها لأنه طالما أفصح عن كراهيته لفرنسا بسبب ما فعلته عائلة زوجته بها.

لم يصحبها مباشرة إلى بروفنس حيث يقطن لأن غاي جيرارد كان ملتزماً بلقاء عمل في العاصمة عند الصباح. أمر سائق التاكسي أن يقلّهم إلى فندق مشهور جداً، كان قد حجز فيه جناحاً مسبقاً. قال لها:

ـ ستقلنا الطائرة إلى الجنوب غداً.

سببت لها العجلة التي اتسم بها سفرهما جهداً لم تكن تتوقعه ولم تشأ أن تعترف به، ولكنها لم تضعف حتى وصلا إلى الفندق. لم تتذكر كيف أغمي عليها في صالون الجناح المخصص لهما ولم تدرِ بشيء قبل أن تستيقظ وتجد نفسها في الفراش.

فتحت عينيها على وسعهما، دهشة وحائرة، عندما رأت غاي واقفاً فوقها وبيده كوب ثم جلس إلى جانبها يدني الكوب من فمها ويطلب منها بلطف: اشربي هذا.

أغمضت جوليا عينيها بشدة ثم فتحتهما ثانية لتتأكد أنها لا تحلم ولكنها وجدته ما يزال جالساً قربها. أطاعته وجلست، ثم اكتشفت، ويا للدهشة، أنها ترتدي قميص النوم. صرخت وهي تلف الشرشف عليها:

ـ أين ثيابي؟

أجابها بصوت جاف:

ـ لا تقلقي، لم أقم برهنها. إنها هناك في الزاوية.

أيتعمد أن يكون بليد الحس؟ نقلت بصرها إلى حيث الكرسي الذي ألقيت عليه تنورتها وقميصها، وحدقت إليه بضعف:

ـ من خلع عني ثيابي وألبسني رداء النوم؟

ـ لست من فعل ذلك بل الخادمة. وهل توقعت أن أفعل أنا ذلك؟

لم يكن عند جوليا أي رد، ولكنها تمنت أن تتوقف خفقات قلبها التي جمحت لأنها تصورت أنه الفاعل.

ـ لا أعرف!

زم شفتيه وهو يرمق الاحمرار الذي اعتلى وجهها:

ـ هل تظنين يا جوليا أنني لو ألبستك بنفسي ثيابك لاستغليت الموقف؟

أجابت نفياً وأحنت رأسها في محاولة لإخفاء حرجها الذي سببه سوء ظنها به. تمتمت «أنا آسفة» عندما بدا أن غاي جيرارد ينتظر اعتذاراً.

أحست بعدم مبالاته وهو يقول:

ـ كان عليك إخباري بشدة مرضك يا جوليا.

ـ كيف عرفت؟

ـ أكون غبياً إن لم ألاحظ مدى هزالك وما آل إليه شكلك، فأنت تبدين هيكلاً عظمياً وشرايين زرقاء اللون.

ـ إنه من جراء إصابتي بالفلو.

هز رأسه عابساً:

ـ أتقصدين الأنفلونزا؟ هذا يوضح الأمر. من اعتنى بك؟ أهي صاحبة الشقة الضخمة؟

حاولت جوليا أن تكون صادقة:

ـ لم يعتن بي أحد، ولا أظن أن السيدة لوند عرفت بمرضي.

ـ ربما هذا يوضح لماذا تترددين في قبول مساعدتي، أنت أشبه بقنفذ صغير مزعج يا طفلتي، ولكن لا أحد قد يكون مستقلاً إلى هذه الدرجة.

قالت موافقة «أعتقد ذلك» وفاتها أن تعترض عندما طوقتها ذراعه بلطف وحزم ليرفعها ويدني رأسها من كوب الشراب الذي كان يحمله. أرخت جسمها على ذراعه بطواعية لم تعهدها مع أحد، ثم تجرعت الدواء وتركته يسندها خلال مرور الشراب المر إلى عروقها.

ـ هل تشعرين بتحسن؟

هزت رأسها إيجاباً فيما كان يضع الكأس جانباً، ثم أخذ يدلك رقبتها بعناية. كان لحركة يديه مفعول مخدر وأحست أن عضلاتها المتشنجة تسترخي. منحته ابتسامة امتنان، وعندما انتهى شعرت أن إحساسها بالدوار

اختلط مع إحساس آخر غير مفهوم.

كادت تعترض على شعورها الغريب بالحرمان عندما أعاد رأسها إلى المخدة، وتساءلت عن سبب انقباض فمه وهو يبتعد عنها.

سألها بحدة مفاجئة: «هل أنت جائعة؟»

أجابت بصدق: «لست متأكدة».

ـ لقد رفضت أن تأكلي في الطائرة، هل أكلت شيئاً طوال اليوم؟

لسعتها أسئلته الباردة وهزت رأسها بالنفي، فعاد الصبر إلى عينيه الزرقاوين واستطرد بلطف:

ـ لهذا السبب أغمي عليك، سأطلب منهم أن يرسلوا لك العشاء بعدما تأخذين قسطاً من الراحة، وأتمنى أن تتحسن صحتك لتتمكني من السفر.

أكدت له بسرعة:

ـ ستتحسن صحتي، فأنا لا أرغب أن أكون مصدر إزعاج.

هز كتفيه: حياتي مليئة بالمشاكل التي أتمنى عدم حدوثها يا آنسة، ولكن الواحد منا يعتاد عليها ولم أعد أعتبرها مصدر إزعاج.

كان على جوليا أن تشعر بالاستياء لاستمراره بالتحديق بها، ولكنها عوضاً عن ذلك شعرت بالقلق، وبطريقة ما زال إحساسها بالعداء تجاهه. ولأنها لم تشأ إفساد أمسيته استفهمت منه بتواضع:

ـ هل ستخرج للسهرة الليلة؟

ارتدّ إليها وأجاب:

ـ قد أنزل إلى المطعم لتناول العشاء، وبعد ذلك سأعمل قليلاً. سأكون في الردهة إن احتجت إليّ.

رن جرس الهاتف فيما كان يهم بالخروج من غرفتها، ولم يبال بإغلاق الباب وراءه فكان أن سمعته جوليا وهو يلتقط السماعة، وبعد لحظة سمعته يردد بالفرنسية: أوه، مساء الخير يا عزيزتي! كيف حالك؟

كانت جوليا تتكلم الفرنسية بطلاقة فتساءلت عما إذا لاحظ غاي جيرارد ذلك. من الواضح أنه كان يتحدث مع امرأة. لا شك أن المتكلمة على الطرف الآخر كانت تعرف تحركاته، وإلا كيف عرفت أنهما ينزلان

هنا. لقد قال إنه لن يخرج الليلة ولكن هذه المرأة قد تجعله يعدل عن رأيه.

كانت مستعدة لرؤية علامات السرور على وجهه عندما أنهى المكالمة وعاد إلى غرفتها وأوضح لها من دون أن تكون هنالك ضرورة لذلك:

ـ تلك صديقة قديمة ويظهر أني سأخرج للسهرة يا آنسة.

بعدما غادر الفندق وهو متألق بسترة بيضاء، انتظرت جوليا عشاءها بفارغ الصبر وهي جالسة في الردهة. شعرت بالوحدة بعد ذهابه ولكنها لا تستطيع أن تدعي أنه لم يبال بها. لقد أبى الذهاب قبل أن تستحم وقبل أن تستكين إلى كرسي مريح وهي مرتدية قميص نوم دافىء، ولم يكتف بذلك، بل تعدى اهتمامه بها إلى حد الإصرار على أن يتأكد أنها جففت شعرها جيداً بتمرير يده عليه.

قال وهو يحدق إليها بتمعن فيما كانت ترمقه بتعجب:

ـ قد تعتقدين أني أقلق أكثر مما يجب يا جوليا، ولكن من الواضح أنك بحاجة إلى من يعتني بك.

ترددت قبل أن تعترف برقة:

ـ يعطيني ذلك شعوراً بالأمان جميلاً، فطالما تمنيت قضاء الكثير من الوقت مع والدي.

أحست أن كلمتها هذه أجفلته لأنه ألقى عليها نظرة حادة للحظة عندما قالت ذلك ثم تكلم بنبرة ثابتة:

ـ لدي الكثير من النصائح الأبوية كما اكتشفت يا آنسة، وبالتأكيد أملك الخبرة الكافية.

لم يخطر على بال جوليا أن كلامه قد يعني أنه متزوج إلا بعد مغادرته، وإن لم يكن متزوجاً فثمة احتمالات أخرى، قد يكون مطلقاً أو منفصلاً عن زوجته، ولا بد أن يكون لديهما أطفال. حاولت أن تتخيل كيف هم أولاده الصبيان، أهم ذو طوال القامة سمر.. نسخ صغيرة طبق الأصل عنه؟

كلما أطالت جوليا التفكير في كلماته كلما زاد اقتناعها بأن لدى غاي جيرارد زوجة في مكان ما، وما يؤكد ذلك عزمه الواضح على تدبير زوج

صالح لها.

عندما جلبوا لها العشاء الذي قدمه نادلان مهذبان للغاية شعرت بكآبة أفقدتها شهوتها إلى الأكل.. كانت ستمتنع عن تناول الطعام لو لم يتبادر إلى ذهنها أن عدم تناول الطعام سيُشعرها بمزيد من الإعياء الذي قد يمنعها من السفر غداً، الأمر الذي سيغضب غاي جيرارد.

احتست الحساء بنهم وتصميم قوي، وحاولت التوقف عن تساؤلها فيما إذا كانت زوجته جميلة.

حاولت عوضاً من ذلك التركيز على المشاكل التي تواجهها. لو أتقنت مهنة ما لكان وضعها أفضل بكثير مما هو عليه الآن. بأستطاعتها الإقامة عند عائلة جيرارد، ولكنها ترفض أن تحشر في زواج لا تريده ولن ترضى بالإقامة في فرنسا إلى الأبد، ففرنسا ليست موطنها، وهي لا تعتقد أن بإمكانها الإقامة في بلاد أجنبية بين أناس غرباء بصورة دائمة.

لقد فقدت والديها. تمتمت لنفسها بصوت مرتفع «نقطة على السطر» ثم دفعت بعيداً عنها صحن الحساء بعدما سقطت فيه دمعة. لم يبتع والديها لأنفسهما بيتاً في انجلترا لأنهما نادراً ما أقاما فترة طويلة فيها، بل لم يمتلكا قط بيتاً شرعياً في أي مكان لأنهما كانا لا يمكثان طويلاً في مكان واحد. لقد عزما على الإقامة في انجلترا عندما يتقاعد والدها الجيولوجي. وطالما سمعتهما جوليا وهما يضعان الخطط التي لم تثمر أو تغني عن جوع. أرسلا لها المال لتستأجر غرفة بعدما تركت المدرسة وطلبا منها أن تبحث عن عمل، والواضح أنهما لم يسألا نفسيهما عن كيفية الحصول على عمل وهي غير مؤهلة لذلك. أسعدها الحظ بالعثور على غرفة، وهي غرفة لن تجدها عندما تعود من فرنسا لأن غاي جيرارد ألغى العقد، ومع أنها ما تزال تشعر بعجزها في مواجهة تحكمه وطغيانه، ولكنها لا تشعر بالأسف على فقدان هذه الغرفة بالذات.

عند شروق الشمس في الصباح التالي، أحست جوليا بأرتفاع معنوياتها وأحست بالقدرة على مرافقة غاي إلى المطار. لقد بدأت تفكر فيه باسمه الأول فقط، غاي، ولكنها ما زالت تناديه بالسيد. ساعدها في

إعادة حزم أمتعتها، واستمرت دهشتها وهي تراقب حركاته القديرة والرشيقة. لم تستطع أن تتوقف عن التساؤل عما إذا كانت حياته محكومة بهكذا ذكاء وتصرفات مدروسة أو أنه يتصرف أحياناً بلا روية وعلى هواه.

قرع باب غرفتها مساء البارحة، بعد عودته إلى الفندق. فوجدها مستيقظة. كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة تقريباً. وعندما وجدها مستيقظة أمر لها بكوب من الحليب الساخن، ولما جلبوه أضاف إليه جرعة من الدواء. لم يسندها هذه المرة ليساعدها على شربه كما فعل في المرة السابقة، بل جلس بشكل عادي على طرف السرير ليتأكد من أنها تشرب الحليب، وجدت بعد ذلك صعوبة في إبقاء عينيها مفتوحتين، وعزت ذلك إلى إحساسها بالأمان الذي وفره لها حضوره. عندما حاولت أن تشكره قال ساخراً:

ـ هذا ما يفعله أي والد يا آنسة.

بدا هذا الصباح محتفظاً بمزاجه الطيب، ولكنها لم تستطع أن تستجمع الشجاعة الكافية لتسأله عن زوجته حتى أصبحا في السيارة على الطريق وهما متوجهان من مطار مرسيليا إلى وجهتهما الأخيرة.

كان يقود سيارة فيراري قوية فأجابها من دون أن يلتفت إليها:

ـ أنا لست متزوجاً يا آنسة.

أحست بالارتباك لأنه لم يسألها لماذا ظنت أنه متزوج. لم تستطع أن تستشف شيئاً من صمته ولم يكن ذلك مشجعاً، لقد أجاب عن سؤالها ولكن من الواضح أنه لا يرغب في إرضاء فضولها وإخطارها بسبب امتناعه عن الزواج وقد بلغ هذا العمر.

تمنت أن لا يحزر أبداً كم من الوقت أمضت وهي تتساءل بينها وبين نفسها عن شكل زوجته. خبا شعورها بالرضى بالسرعة التي أحست به عندما أخبرها بأنه ما يزال أعزب ثم حلت مكانه أفكار أخرى عصفت بها.

ـ ربما أنت مرتبط يا سيد.

ـ مرتبط! أتعنين إذا كنت عاقداً خطوبتي على امرأة.. لا، لست كذلك أيضاً يا آنسة.

ـ لقد فهمت.

التوى فمه بمرارة وهو يحدق إلى وجهها المليء بالشكوك:

ـ ما الذي ترمين إليه يا جوليا؟ أعتقد أن خيالك الجامح هو وراء شكوك وتخميناتك؟ أليس من الأفضل التفكير في أمور أخرى؟

اعترى وجنتي جوليا شيء من الاحمرار فأرغمت نفسها على التسليم بالأمر.

ـ ربما أنت على صواب. وأعترف أنك أثرت فضولي عندما سمعتك تتكلم مع امرأة على الهاتف ليلة البارحة.

أجابها بكسل: «أؤكد لك أن أموراً كثيرة ستحصل في حياتك في الأيام القادمة وهي أمور ستثير فضولك. ولكني أنصحك يا عزيزتي بأن تأخذي الأمور بتأن وعلى مراحل وإلا يحدث لك عسر هضم عقلي».

بدا أن مخاطبته إياها بكلمة عزيزتي خففت من قسوة كلماته الساخرة ولكنها أحست بتحذير مبطن. حاولت تركيز بصرها على المناظر الطبيعية على جانب الطريق وهي تشعر كأنها أرنب مذعور..

تذكرت ما كانت أمها تخبرها به وسألته بحماس:

ـ هل تربون حقاً الثيران والخيول البرية هنا يا سيدي؟

لم يتردد هذه المرة في الإجابة، ولم يبد عليه الاستغراب لأنها لم تذكر معرفتها بهذه الأمور حتى الآن.

ـ أملك مزرعتين يا آنستي وأنا أربي في إحداهما الثيران والخيول، أما الخيول البرية فهي تسرح على هواها وهي حرة كالريح.

ـ ماذا في المزرعة الأخرى؟

ـ أرضها غنية وتحتوي على حقول الكرمة والذرة وبساتين الفاكهة المختلفة. ستجدين يا عزيزتي الأضداد تتعايش في منطقة كامارج والمناطق المتاخمة لها وستجدين ما يسرك في كل شيء.

هزت جوليا رأسها وتركت حماسته المتزايدة تدفىء الجو بينهما أحست أن في أعماقه حباً قوياً للأرض التي ترعرع فيها.

سيعتبر أن سماحه لها بالقدوم والإقامة هنا هو بمثابة امتيازات منحت

لها والويل إذا فعلت ما يسيء إلى ضيافته!

سألته على عجلة: «في أي من المزرعتين تقيم يا سيدي؟»

هز كتفيه بلا مبالاة.

ـ أنا وخالتك نفضل الإقامة قرب الثيران والمستنقعات، ربما لن تفضلي ذلك في البداية ولكنك سرعان ما ستعتادين عليها.

بدا أنها مضطرة للاعتياد على ذلك لأنها لا تملك حق الاختيار. راوغت ثانية حتى لا تعلق مباشرة على كلامه وقالت:

ـ أنا في شوق إلى رؤية خالتي مافيز.

رد عليها: ستقابلين ابنة خالتك أيضاً، أختي غير الشقيقة، فإيمي متزوجة وعندها أولاد وهي تقطن في مدينة ينس، ولكنها ستزورنا في الأسبوع المقبل.

عضت جوليا على شفتها:

ـ أعرف أن لدي ابنة خالة ولكنني لم أعرف أنها تزوجت.

أكد لها غاي بحفاوة.

ـ لقد أرسلنا لوالديك دعوة لحضور زفافها.

تنهدت جوليا:

ـ أعتقد أنه بسبب أسفارهما الدائمة لم يستطع البريد أن يلحق بهما وإلا لحضرا حفل الزفاف بالتأكيد.

هز كتفيه بشكل مفاجيء وكأن ما حصل وقع منذ زمن طويل ولم يعد يهمه:

ـ هذا لا يهم. أنا متأكد أنك ستحبين توأمها، إنهما في السادسة من العمر وهما كالعفاريت الصغار.

ابتسمت جوليا لأنها تحب الأطفال.

ـ هل يمكثون عندكم كثيراً يا سيدي؟

أجابها متثاقلاً:

ـ أجل يمكثون، وأعتقد أن الأوان قد آن لتناديني بأسمي الأول، غاي. فإن لم نكن في الحقيقة أقرباء فثمة نوع ما من أواصر القربى.

قالت «شكراً» باللغة الفرنسية وشعرت بأن معنوياتها قد ارتفعت قليلاً، لأن ذلك بدا برهاناً على نوع من المحبة يكنها لها.

قال وفي صوته قليل من الدهشة:

ـ أتتكلمين الفرنسية؟

ـ كثيراً من الناس يتكلمونها.

ـ أعرف ذلك.

رد عليها بنزق وهو يزيد من سرعة سيارته على طريق مستقيمة، وما إن تسارعت سيارته القوية بنعومة حتى استطرد:

ـ ظننتك لا تعرفين الفرنسية لأنك لم تحاولي التكلم بها.

ـ لقد تعلمت اللغة الفرنسية في المدرسة كما علمتني والدتي إياها في البيت أيضاً.

طلبت عيناها السماح منه لأنها تكلمت معه بحدة، ورمقها بنظرة وهو يهز برأسه قليلاً وكأنه أدرك أنها نادمة. اعتلى وجهه دفء خافت عندما انطلق لسانه سريعاً باللغة الفرنسية وازداد رضاه عندما فهمت ما قاله بسهولة وردت عليه باللغة ذاتها. ثم علق:

ـ لهجتك جيدة، ستنفعك إن لم أتوفق في العثور على زوج لك يتكلم الإنكليزية.

تحول الخنوع الذي شعرت به والذي سرّ به غاي إلى غضب عارم واستوضحت:

ـ لست جاداً! أعرف أنك تحدثت عن تزويجي عندما تقابلنا للمرة الأولى البارحة، ولكني اعتقدت أن ذلك يعود إلى انزعاجك مني!

ـ هل ظننت أني أشاكسك فقط؟

رمق وميض الغضب في عينيها ببرودة عندما تقابلت نظراتهما قبل أن يعود ويركز اهتمامه على قيادة السيارة.

ـ أنا لا أتكلم عبثاً يا جوليا، لقد سبق أن قلت لك إن لدي مسؤوليات جساماً وأجد بعضها مضجراً للغاية، وليس لدي رغبة في إضافة مسؤولية أخرى إليها. وتعتبر فتاة شابة مثلك مسؤولية كبيرة، وهذا لا يعني أنه

مطلوب منك أن تتزوجي من أول رجل أقدمه لك ويبدي اهتماماً بك، وكما تعرفين فأني لا أفتقد إلى الأحاسيس الإنسانية.

أجابته بصوت لاذع:

ـ هذه ربما مسألة رأي يا سيدي. ربما أنت قانع بعاداتكم البالية ولكنني أعتبرها من مخلفات عصور الظلام! هل دبرت زواج أختك أيضاً؟

موهت البرودة الدائمة في صوته غضباً يماثل غضبها:

ـ زواج أختي أمر لا يعنيك، وقبل أن تنتقدي عاداتنا عليك أن تتأملي عاداتكم التي تشير الإحصاءات بصورة عامة إلى أن معدل نجاح الزيجات في فرنسا هو أعلى من المعدل في المملكة المتحدة، ومن المؤكد أن ذلك يبرهن على شيء ما.

تنهدت جوليا وهي تدرك أن موضوع الحديث الدائر بينهما موضوع قد يطول نقاشه، وفضلت أن تتركه حتى وقت تكون فيه غير متعبة وسريعة البديهة. كانت تعرف تماماً أن معظم الزيجات في فرنسا هي زيجات مدبرة، ولكنها لم تستطع أن تتخيل نفسها متزوجة برجل لا تحبه، فردت عليه بتمرد:

ـ أنا على ما أخشى أسير على منوال والدتي.

ـ لولا فرار أمك، لكانت على قيد الحياة يا آنستي.

انتفضت جوليا وهي تحس بقسوة غاي جيرارد التي تمرس في استعمالها. ردت عليه بصوت جاف:

ـ أنا متأكدة أن أياً منا في وضع لا يمكنه من الحكم على ذلك، ألا تراودك فكرة الهرب مع من تحب وترغب الزواج بها إن كانت عائلتك معارضة للأمر.

رد عليها بلياقة:

ـ لن تراودني فكرة التخلي عن كل شيء من أجل أية امرأة.

عضت جوليا على شفتيها وأمسكت عن الرد بتعليق لاذع كما فعلت منذ لحظات، فقد أدركت أن لا جدوى من هذا الجدال. في هذا الرجل شيء من البدائية، شيء لم يروض وغير قابل للترويض وقد سبب لها

إزعاجاً لم تظنه ممكناً.

لاذ بالصمت عابساً بعدما اعتقد أن الكلمة الأخيرة في الموضوع كانت له، وترك جوليا غارقة في أفكارها. لم يكن هذا الصمت مريحاً، ربما لأنه لم يكن هنالك من شيء يبعد تفكيرها عنه غير المستنقعات المالحة والممتدة على جانبي الطريق.

شعرت براحة لا متناهية عندما عبرا مرتفعاً خفيفاً وشاهدا أمامهما قصراً ضارباً في الأرض ومحاطاً بالجنائن والأشجار والخميلات وكوكبة من الأبنية الحجرية الضخمة.

سألت وقد اتسعت عيناها:

ـ أهذا منزلك يا سيدي؟

صحح لها: بيتي!

لم تستطع أن تفكر في أية كلمة تعبّر فيها عما شاهدته بدقة غير «إنه مؤثر». لم يكن جميلاً كالعمارة الفرنسية، كانت خطوطه محددة والبناء صلباً كالرجل الواقف قربها، وكلاهما لم يكن من السهل نسيانه بسرعة.

سألت من دون أن تعي الرهبة التي اعترت صوتها:

ـ كم يبلغ عمر هذا المنزل؟

أجابها: «ما يكفي لتعشش فيه بعض الأشباح يا آنسة».

التفتت إليه جوليا دهشة وعيناها الرماديتان تتساءلان: حقاً؟

ابتسم برقة وأجاب: «لا! على الأقل لم أشاهد بنفسي أي شبح. يعود تاريخ البيت إلى عدة قرون، وقد امتلكته عائلتي منذ أجيال لا تعد ولا تحصى. وأعتقد أن أصلنا من السارسان الغزاة».

ضحكت وهي تحس بزكزكة خفيفة كرهت أن تعتبرها نوعاً من الكبرياء وقالت:

ـ أو ربما البرابرة أو الأتراك؟

نظر إليها بسخرية:

ـ أحقاً ما تقولين يا آنسة؟ من يسمعك يظنّك ملمة بتاريخنا القديم!

سحرتها عيناه السوداوان المسمرتان عليها، واعتراها الخوف عندما

أحست أن نبضات عروق رقبتها البيضاء أخذت تتسارع بشدة. شعرت بالتشوش وتلعثمت.

ـ بما أن والدتي فرنسية، أعتقد أن بعض هؤلاء البرابرة هم أسلافي القدماء أيضاً.

انتقلت نظراته للحظة إلى الطريق ثم التفت إليها بآهتمام:

ـ من دون شك. إظهارك هذا الاهتمام بأسلافنا لأمر جيد.. وسيكون ممتعاً بالنسبة لي أن أكتشف أيهما الأقوى دمك الفرنسي أم دمك الإنجليزي يا جوليا.

انتهت رحلتهما عندما وصلت السيارة إلى فناء ممتد أمام المنزل، وشعرت جوليا بالراحة. أحرجتها ملاحظات غاي الماكرة وشعرت أنها لن تأسف للابتعاد عنه بعض الوقت ولم تكن لتصدق أن أفراد العائلة الآخرون يشبهونه بأي شيء.

ترجّل من السيارة في الوقت الذي كانت يدها فوق عينيها تمسح وجهها. سحبها بلطف من مقعدها:

ـ هيا يا جوليا تعالي، قد يتخيل أي كان أنك لم تشاهدي منزلاً كهذا من قبل.

فيما كانت تعترف أنها لم تشاهد مثله من قبل تعثرت في سيرها فاندفع بشدّ قبضته حول ذراعها.

قال لها بصورة رسمية: «أتمنى أن تستمتعي بالإقامة هنا» أما تعابير وجهه فكانت تقول لها إن لم تفعلي ذلك فعليك أن تتعاملي مع هذا الوضع بالتي هي أحسن.

رمقته بريبة، ولكن قبل أن يتسنى لها الوقت كي ترد عليه اندفع صبيان صغيران من البيت وهرعا إليهما.. سرعان ما عرفت أن هذين الصبيين هما توأما أخت غاي، فهما يشبهان بعضهما بعضاً كثيراً. كانا يافعين ذوي بشرة سمراء وعيون راقصة وشعر أجعد وحيوية متدفقة.

تكلما بالفرنسية مؤكدين لجوليا صحة تخمينها:

ـ مساء الخير يا عمي غاي، نحن الآن في عطلة.

سمعته جوليا يسحب نفساً عميقاً ويسأل بصرامة: منذ متى؟

أخبراه فيما كان ينحني ليداعب شعرهما بحنان.

ـ لقد جئنا مع لورين، لقد اضطر البابا والماما إلى السفر.

ـ يا إلهي، ليس ثانية؟

أطبق غاي على شفتيه بصورة تنذر بالويل، لكنه تمالك نفسه عندما سمع صوتاً مفرحاً ينطلق بسرعة:

ـ غاي، عزيزي، لقد اضطر ليون للذهاب إلى المانيا وتوسل إلى فايمي لتذهب معه. أنت تعرف هذه الأمور فما يزالان متحابين بقوة ولكن فايمي لم توافق على الذهاب معه إلا عندما عرضت عليها المجيء للاعتناء بالولدين. وكنا متأكدين أنك لن تمانع.

رفعت جوليا رأسها عن تأمل الولدين لترى امرأة شابة بدل منظرها على سحر يفوق سحر صوتها، كانت تحدق إلى غاي جيرارد وفي عينيها نظرة تعبر عن تملكها له.

* * *

٢ ـ سيدي!

كانت الفتاة التي اقتربت منهم بهدوء طويلة وسمراء ورائعة الجمال، في أواخر العشرينات من عمرها. رانت لحظة قصيرة من الصمت المفاجيء شعرت جوليا خلالها بتشنج غاي جيرارد الذي ما لبث أن استرخى.

أفلت ذراع جوليا وأمسك بيد الفتاة الغريبة الممدودة إليه «مساء الخير يا لورين» ورفعها إلى فمه.

ـ إن أختي مغرمة بترك أولادها لتتعب الآخرين، يجب أن أحادثها في هذا الأمر.

ابتسمت لورين له بشكل حميم متجاهلة جوليا:

ـ أؤكد لك أن لا مانع عندي.

ـ وعلينا نحن أن نتأكد من أن لا مانع عندك.

أجابت لورين ضاحكة:

ـ شكراً، إن ذلك من دواعي سروري لأنني مغرمة بالأطفال.

ارتفع أحد حاجبي غاي قليلاً وهو يشدها إليه.

ـ يجب أن تتعرفي إلى ابنة خالة فايمي التي اصطحبتها معي من لندن، لقد أتت لتعيش معنا هنا.

قام بالتعارف بكل برودة ثم قدم جوليا للتوأم.

هزت لورين رأسها لجوليا بصورة جافة قبل أن تحول انتباهها إلى غاي وقالت:

ـ لقد حدثتني السيدة عنها.

تمنت جوليا لو تتوقف الفتاة عن الكلام وكأنها غير موجودة، كما أن نبرة صوتها غير لائقة، ومع ذلك لم يبد أن غاي لاحظ أي خطأ.

تساءلت جوليا فيما إذا كان جمال لورين قد سحره وأعماه عن التنبه لقلة ذوقها؟ كان يبتسم لها وعيناه السوداوان تكادان تلتهمانها. تكلمت جوليا مع التوأم بسرعة لتلا ترى كيف باستطاعته أن يكون ساحراً عندما يختار ذلك.

أظهر الصبيان، فورتش وفيتز، اللذان تعلما كيف يكونان ودودين إعجاباً فورياً بجوليا وهذا ما أثلج صدرها. كان من عادتهما أن يتكلما معاً ووجدت ذلك مربكاً. في الوقت ذاته رمقاها بفضول وسألاها:

ـ هل شعرك حقيقي يا آنسة؟ إنه أشبه بحرير ذهبي اللون.

ـ كفى يا أولاد..

قاطعتهما لورين بحدة فيما كان غاي يقتادهما إلى المنزل، فالواضح أنه إذا ما كان هناك ثمة مديح فليكن لنفسها.

ردت جوليا بسرعة عندما رأتهما يطأطئان رأسيهما:

ـ أنا متأكدة أنهما لم يقصدا أية إساءة.

قاطعهم غاي بلطافة:

ـ جوليا متعبة يا أولاد، إذا ذهبتما إلى المطبخ الآن فستجدان العشاء جاهزاً ويبدو أن الوقت سيحين للاستحمام والخلود للفراش وبأستطاعتكما التحدث إلى جوليا في الصباح.

أطاعاه بدون تذمر، قالا «إلى اللقاء» وهرعا بعيداً.

لم تقم لورين بمحاولة مرافقتهما كي تشرف على ميعاد نومهما. ومع أن جوليا شعرت فجأة بالتوتر لأنها تتطلع شوقاً إلى ملاقاة خالتها، لم تستطع إلا التساؤل عن مدى جدية لورين بالوفاء بتعهدها لأخت غاي، فقد بدا عليها الاهتمام بغاي أكثر من اهتمامها بالتوأمين.

أمسكت لورين بيد غاي وظهر أنها نسيت التوأم فيما كانت تحدق إلى غاي بتوسل:

فراشة الحبة

ـ هل باستطاعتنا الذهاب إلى مكان ما والتحدث بعدما ترافق الآنسة وارد إلى السيدة، يا غاي؟

ابتسم غاي لها بلطف:

ـ سيكون ذلك من دواعي سروري يا عزيزتي ولكن أخشى أن ينتظر ما تريدين حتى وقت العشاء. أريد التأكد من ترتيبات إقامة جوليا ثم الانتهاء من الأمور الكثيرة الملحة.

قطبت الفتاة الفرنسية حاجبيها ولكن سرعان ما عادت لها ابتسامتها البراقة.

ـ طبعاً، أرجو أن تسامحني يا عزيزي. لم أرك منذ ثلاثة أسابيع وهذا يجعلني عديمة الصبر.

لم تستطع أن تعرف ما كان سيكون رد غاي الذي قطعه دخول امرأة إلى القاعة الكبيرة من الباب الذي يقع في الطرف الآخر منها. كانت امرأة لطيفة الملامح في منتصف العمر ذات شعر رمادي. مشت نحوهم ببطء ولاحظت جوليا أنها تعرج. انفرجت أساريرها عندما اقتربت منهم ثم علتها مسحة من الحزن.

مدت ذراعيها ثم اغرورقت عيناها بالدموع:

ـ أنت جوليا، أليس كذلك؟ لماذا لم يعلمني أحد بوصولك، كنت سأعرفك على أي حال يا صغيرتي فأنت تشبهين أمك العزيزة كثيراً.

اصطحبت، فيما بعد، هورتنس، مدبرة المنزل العجوز، جوليا إلى غرفتها وكانت ما تزال حائرة في ترتيب دوامة أحداث الساعة الأخيرة. كانت تشعر بالتعب الشديد وتساءلت متعجبة عن السبب الذي يجعلها تشعر بالإحباط. دفعت عن مخيلتها فكرة أن للسبب أي علاقة بلورين ليشين. حدقت لورين إلى جوليا بصمت بعدما غادر غاي الصالون، وهذا ما جعلها غير قادرة على التكلم مع مافيز جيرارد بصورة طبيعية. ووجدت أن نظرة لورين المركزة والعدائية مزعجة خاصة وهي لا تجد سبباً يدعوها إلى ذلك.

كان من الواضح أن لورين مهتمة بغاي جيرارد وإذا كانت تحمي آمالاً

بأن تتزوج به فلا يعقل أن تعتقد أن جوليا تشكل تهديداً على مخططاتها. ولا يعقل أن تعرف لورين خطط غاي في تزويج المزعجة الصغيرة القادمة من انكلترا!! وتساءلت جوليا فيما إذا كان سيخبرها عن ذلك.

كان الدرج الذي ارتقته دائرياً وبدا أن عدد درجاته يفوق المئة والردهة تقود إلى أخرى أطول منها. توقفت هورتنس أخيراً أمام باب عريض أبيض اللون وقالت مبتسمة بلطف:

ـ ستنامين هنا يا آنسة. أعتقد أنك ستكونين على أتم راحة. لقد حللت أمتعتك وموعد العشاء هو الثامنة والنصف.

دخلت جوليا إلى الغرفة بعد ذهاب هورتنس ونظرت إلى ما حولها بشوق. كانت الغرفة كبيرة ومريحة ولكنها ليست أنثوية تماماً، ولم تأخذ وقتاً في تخيل طرق تجعلها أكثر تألقاً ثم ذكرت نفسها أنها لن تبقى هنا أكثر من عدة أسابيع.

كانت تعتزم فقط الجلوس على حافة السرير ولم تكن تنوي أن تتمدد عليه. عندما وعت ما تفعله نهضت ثانية ثم تمددت على ظهرها على السرير. هل بهم ما تفعله؟ دفعت عن قدميها الحذاء بكسل ووضعت يديها تحت رأسها وتأملت في السقف.

علت الابتسامة وجهها عندما فكرت بالتوأم، ترى ماذا يفعلان الآن؟ يغطان بنوم عميق من دون شك. كان باستطاعتها تصور وجهيهما الصغيرين الملائكيين وهما ينامان جنباً إلى جنب. لبتها تحب التفكير في لورين بمقدار نصف ما تحب التفكير فيهما؟ هي امرأة جميلة بلا شك ولكن فيها شيء من القسوة. من الممكن أن تكون زوجة مناسبة لغاي ولكن هل بأستطاعتها أن تجعله سعيداً.

أغمضت جوليا عينيها خجلى من هذه الأفكار التي لا شأن لها بها، كان كل شيء هادئاً ولم يكن هنالك صوت. ولم يخترق سكون الليل إلا سجع الحمام القابع على الأشجار خارج نافذتها. اكتشفت فيما بعد أن سجع الحمام هو ما أخلدها إلى النوم ولم يكن عندها أدنى فكرة عن وقت حدوث ذلك.

استفاقت بعد بعض الوقت لتجد أحداً يهزها بلطف، تلوت متهربة من اليد التي كانت توقظها لأنها كانت راضية عن وضعها. وجدت بعدما أجبرت نفسها أخيراً على فتح عينيها الرماديتين والزائغتين أنها تحدق مباشرة إلى غاي جيرارد.

ـ يبدو أن ذلك قد أصبح عادة يا صغيرتي.

كانت لمحة من السرور تومض في عينيه الزرقاوين المحدقتين إليها.

اعتراها الحرج وجاهدت كي تجلس وسألته بقلق:

ـ هل نمت طويلاً؟

كانت يده ما تزال على كتفها وهو يجلس على حافة السرير وبدا أن من الطبيعي جداً أن يدنيها منه بلطف لتسند رأسها على كتفه.

ـ هذا ما لا أستطيع الإجابة عنه، عندما رأيتك آخر مرة في الطابق الأرضي كانت عيناك متعبتين وقد شعرت ما الذي أنت في صدده. كنت نائمة مثل الملاك ولكن لو لم أوقظك لما سامحتني أبداً على تفويت العشاء عليك.

تنهدت وقالت: «أنا غير جائعة كثيراً».

ـ أنت متعبة أكثر منك جائعة لأنك ما تزالين مريضة. يجب أن تستريحي لبعض الوقت. سأرافقك غداً إلى الطبيب وسأطلب من لورين التأكد من عدم إزعاج الأولاد لك حتى أتمكن من الاتصال بأختي طالباً منها العودة.

أمسكت جوليا بطرف ثيابه وتوسلت إليه:

ـ أرجوك لا ترسل في طلب فايمي بسببي. التوأمان في غاية اللطف وأنا سأستمتع كثيراً بالمساعدة في العناية بهما.

اخشوشن صوته فجأة وقال:

ـ يجب أن تعتني بنفسك وأمنعك من إرهاق جسمك.

ـ حسناً، ولكني لا أحتاج إلى طبيب!

ـ اتركي لي الحكم على ذلك يا جوليا ولو كان ذلك من باب الحذر والوقاية.

رفعت رأسها غاضبة وابتعدت عنه:

ـ كي تستطيع التخلص مني وتزويجي بسرعة؟

تقلصت ذراعيه بغضب ونظرت إلى وجهه القريب من وجهها وانتقل نظرها إلى فمه القاسي المشدود. وشعرت فجأة بالدنيا تدور بها وأخذت تنهمر دموعها على خديها وسمعته يتمتم مستوضحاً عندما رأى الدموع.

ـ أنا آسفة يا غاي.

وبالسهولة التي أثارت فيها غضبه استطاعت أن تكظمه عندما وضعت رأسها على كتفه وقال برقة وهو يمرر أصابعه في شعرها:

ـ إن البكاء مجد يا جوليا. أنا أعرف مدى الصدمة التي خلفها موت والديك، أما قدومك إلى هنا فزاد من حزنك ولم تتسن لنا الفرصة لنحاول الترويح عنك. من الأفضل أن تدعي الدموع تغسل البؤس الموجود في قلبك حتى يكون باستطاعتك تدريجاً التأقلم مع السعادة ثانية.

تنفست جوليا بثبات. لم تكن لتعرف قط أنه بهذا التفهم. مسحت وجهها بالمنديل الذي وضعه بين يديها وابتسمت له بوداعة وقالت «شكراً». أما هو فانحنى ليعانقها.

كان عناقاً أبوياً إلا أن ذلك أصابها بالهلع وكان كافياً لإذابة اليأس الذي سكنها لأسابيع عديدة. تسارع شعورها بالخوف وهي تعي بشكل متزايد رجولته المربكة.

شعرت أنها يجب أن تقاوم ولكنه أبعدها عنه في ثوان قليلة ووجدت جوليا مذهولة أن تصرفه صدمه وقد ظهر ذلك من خلال وجهه الذي شحب. ولكن بدا المرح في صوته عندما تكلم.

ـ قد يفقد الرجل تماسكه عندما يتعلق الأمر بالاعتناء بنساء شابات وجميلات. كان يجب أن أدرك ذلك.

شعرت جوليا بالألم من ضحكته، ولكن هذا الألم جعلها تتمالك نفسها. وسمعت نفسها ترد عليه ببرودة:

ـ على ما أعتقد كنت تحاول مساعدتي فقط، لقد كان ذلك لطفاً منك.

سألها وهو ينظر إلى وجنتيها اللتين اعتراهما الاحمرار:

ـ هل تستطيعين ارتداء ملابسك؟ أنا متأكد أن لورين ستكون مسرورة في مساعدتك على ذلك.

«بالطبع يا آنسة فأنا هنا للمساعدة» قاطعهما صوت لورين وهي تدخل من الباب وبدا كأن صوتها زعيق.

قالت جوليا من دون أن تعي:

ـ أتمنى على الناس أن يقرعوا الباب قبل دخولهم إلى غرفتي.

رد غاي فوراً غير راضٍ على ملاحظتها:

ـ إن لورين مهتمة لأمرك فقط يا جوليا، وأنا أؤكد لك أن ليس من عادتها أن تكون غير مهذبة. والواقع أنها قرعت الباب ولكنك كنت نائمة.

هزت لورين كتفيها غير مبالية مما زاد شعور جوليا بالذنب:

ـ لقد أرسلتني السيدة لأنها كانت قلقة. تريد أن تعرف إذا كنت تفضلين تناول العشاء في غرفتك هذا المساء. ربما تحبين تناول وجبة خفيفة وأنت في السرير.

وأنا في السرير! كان ذلك أكثر ما ترغب فيه ولكنها كانت عازمة على أن تبرهن أنها أقوى مما كانت تشعر به. وردت بصوت أجش:

ـ أنا شاكرة، ولكن لا نية عندي في إضافة حمل آخر عليكم. إذا استطعت الحصول على القليل من الخصوصية أنضمّ إليكم على العشاء بعد دقائق قليلة.

تقلصت أسارير غاي وهو يقود لورين خارجاً.

ـ حسناً يا جوليا! إذا كان هذا ما تريدين فسنكون بانتظارك في غرفة الطعام.

لو كان لعرضها العدائي القصير والسخيف قيمة لوضع غاي ذراعه حول لورين لحمايتها! قررت أن تنسى الموضوع حالما أغلقا باب الغرفة خلفهما. تناولت جوليا من خزانة الملابس أحد فساتينها القديمة وارتدته. ما تزال تشعر بالإرهاق وبأنها بعيدة عن التألق ولكن الماكياج الشاحب أبرز ملامحها. بعدما ألقت نظرة على نفسها تمنت لو تمتلىء كل أجزاء

جسمها، فعلى الرغم من تناسق الجزء السفلي من جسمها كان خصرها رقيقاً وساقاها رفيعتين وطويلتين وكانت كتفاها ورسغاها هزيلة.

ابتعدت جوليا عن المرآة التي كانت تحدق إليها بحركة عنيفة، وأخذت تبحث عن منديل لتحمله معها. فكرت قلقة أنها يجب أن تكون جاهزة إذا ظلت عرضة للبكاء وذرف الدموع فربما غاي غير مستعد لإعارتها منديله بصورة مستمرة!

عندما نزلت إلى غرفة الطعام حذرت نفسها من التمادي في التفكير. تساءلت عما إذا كان واقعاً في حب لورين التي شكل جسمها غير متناسق، ولكن وجهها جميل وحضورها راق بارد حسدتها عليه جوليا. لم تفتها نظرات الحب التي ألقت بها الفتاة الأخرى على غاي ولكن لم يتسنّ لها الوقت للتأكد من مشاعره الحقيقية. كانت جوليا متأكدة من أن رجل بهذه الوسامة هو محط أنظار النساء ولكن يجب الانتظار كي نعرف هل يتجاوب معهن بالحماس ذاته.

لم يكن عند جوليا شك في أنها ستعرف الجواب عمّا قريب. ولسبب غامض عادت البرودة التي ظنت أنها رحلت، إلى قلبها.

تناولوا العشاء في غرفة متناسقة ذوقها رفيع تحتوي على أثاث براق وأدوات من الفضة وستائر من الستان تغطي النوافذ وهذا كله يشير إلى أن عائلة جيرارد ليست عائلة محتاجة، هل من سبب يدعو للاستغراب عندما تحاول امرأة مثل لورين أن ترمي شباكها حول من يملك هذا الثراء؟

لم تشارك جوليا كثيراً في الأحاديث التي دارت حولها واكتفت بتقليب محتويات صحنها من السمك اللذيذ. ولم ترفع رأسها حتى تكلم غاي معها بلباقة أجفلتها.

ـ أكل شيء حسب ما تشتهيه نفسك جوليا؟

هزت برأسها وهي تبتلع اللقمة بسرعة وقد اعتلى وجهها غضب مفاجيء. إن مظاهر قوته لا يستهان بها وهو مرتدٍ البذلة الرمادية الغامقة والقميص الأزرق الحريري، ولكن ما صدمها أكثر من أي شيء هو برودة عينيه. ولم تستطع أن تتذكر ما الذي فعلته لتستحق مثل هذا العبوس إلا إذا

كانت فظاظتها مع لورين هي السبب.

ـ أنت لا تأكلين.

ـ لم نكد نبدأ يا سيد.

ـ لقد تركت نصف صحنك.

تناول الآخرون حساء دسماً شعرت أن معدتها لن تستسيغه فكان أن وجدت عذراً آخر لعدم تناولها الطعام.

ـ هلا أمهلتني بعض الوقت يا سيد.

بدا على مافيز أنها تتسلى بهذا الحديث ولكن القلق اعتراها وقالت:

ـ دع الصغيرة وشأنها يا غاي، اسكب لها قليلاً من الحساء. قد يحسن ذلك شهيتها ويجعلها تشعر بتحسن.

لم تكن جوليا تريد المزيد ولكنها لم تكن سريعة بما فيه الكفاية لتمنعه من تنفيذ ما طلبته زوجة أبيه منه. وكان الصحن قد امتلأ ثانية قبل أن يتسنى لها الوقت لكي تسحبه بعيداً. اعترضت:

ـ هذا لطف منك ولكني لا أرغب في المزيد.

رد عليها وقد بان عليه مظهر من فقد الاهتمام:

ـ إن ذلك يسعد خالتك ويضفي قليلاً من اللون على وجهك الشاحب.

انتقلوا إلى الصالون بعد الانتهاء من العشاء لتناول القهوة وبعد ذلك وضعت لورين موسيقى حالمة ورقصت مع غاي. دهشت جوليا عندما رأت غاي يرقص بسهولة كما أدهشها أن ترى غاي وشريكته متناسقين في الرقص كلياً فهما ينسابان من مكان إلى آخر في هذه الغرفة الواسعة.

لاحظت مافيز جوليا تراقب الآخرين وقالت لها:

ـ أحياناً نرقص على الشرفة. فايمي تحب الرقص كثيراً ولكن غاي لا يحبه مثلها.

ـ هل يدير المزارع بنفسه؟

شعرت جوليا بالذنب بسبب هذا السؤال ولكن فضولها كان أقوى منها. هزت خالتها برأسها وأجابت:

ـ نعم، يساعده رجال ماهرون لأن لديه أعمالاً في أماكن أخرى ولكن

غالباً هو الآمر الناهي هنا. ترك زوجي الراحل له كل شيء بعدما تأكد من أنني وابنتي نملك كل ما يسد حاجاتنا وأكثر وهو كان عند ثقة والده دائماً. كان كابن لي وأتمنى أن يجد في يوم ما امرأة فاضلة يتزوجها لأني متأكدة أنه سيكون زوجاً صالحاً.

ـ لورين.

انتقل بصر جوليا إلى الفتاة الأخرى بسرعة ولكنها أدركت أن لا شأن لها في طرح هذا السؤال.

ـ ربما.

بدأت جوليا تفهم أن خالتها في بعض الأحيان كتومة فتمتمت وهي لا تشعر بالرضى:

ـ ليس من شأني أن أطرح هذا السؤال.

ربتت مافيز على يدها:

ـ لا يقلقنك ذلك يا عزيزتي فليس من الخطأ أبداً إظهار الاهتمام. والواقع أني أفضل أن يكون الناس على سجيتهم. لقد ذهبت لورين إلى المدرسة مع فايمي ونعرفها منذ سنوات طويلة وهي تزورنا بانتظام. من المفترض أن تكون زيارتها الحالية لرعاية أولاد فايمي، ولا أستطيع إخبارك أكثر من ذلك.

هزت جوليا برأسها وحاولت ألا تدع منظر لورين وهي ترقص مع غاي يزعجها. كانا يجلسان في الطرف الآخر من الغرفة ولم يطلب منها غاي مرافقته. كانت تعرف أنها سترفض لو طلب منها ذلك لأنها لم تكن تشعر بالرغبة في الرقص ولكنها قالت في نفسها بمرارة إن ذلك سيكون تصرفاً لطيفاً منه.

تبادلت ومافيز أطراف الحديث وكان معظمه عن التوأم حتى لاحظت خالتها شحوبها المتزايد وأرسلتها إلى الفراش.

فيما كانت جوليا تنهض أمسكت مافيز إحدى يديها بيديها الاثنتين وتمتمت بحزن:

ـ غداً يا صغيرتي إذا سمح الطبيب بذلك ستتكلم عن والديك.

صممت جوليا أن تستيقظ وتنهض في اليوم التالي قبل أن يصل الطبيب الذي لم ترغب في رؤيته، ولكنه أتى أبكر مما كان متوقعاً. صحبه غاي إلى غرفتها حتى قبل أن ينسى لها فتح عينيها. انتظر غاي خارجاً عندما كان الطبيب يعاينها ولكنه دخل إلى الغرفة حالما انتهى الطبيب من فحصها والتعابير الصارمة تغطي ملامحه وسأل بأقتضاب:

ـ حسناً كيف حالها يا اليروي؟

ـ الإرهاق!

كان الطبيب رجلاً طويلاً يتكلم الإنجليزية والفرنسية بلباقة وشكت جوليا في أنه طبيب العائلة فقط. لا شك أنه اختصاصي. أصابتها الرجفة وهي تفكر كم ستكون أتعابه كبيرة ونظرت إلى غاي عساها تعرف شيئاً.

كان منشغلاً تماماً بالاستفهام من الطبيب عن ملاحظة اضطرابها.

ـ هل يجب أن تبقى في الفراش؟

ـ كلا يا صديقي ليس هذا ضرورياً. تأكد فقط من نيلها كفايتها من الراحة والهواء النقي. لقد خسرت والديها وأصيبت بالأنفلونزا مع أن مصيبة واحدة منهما كافية لطرحها في الفراش، ولكنها فتاة صبية قوية ستشفى قريباً.

رجع غاي إليها بعدما ودع الطبيب. كانت منشغلة بالنهوض من السرير عندما عاد فأصيبت بالهلع وأسرعت تغطي نفسها بالشراشف. انزعجت عندما رأته يضحك.

ـ لقد رأيتك يا عزيزتي من قبل في ثياب النوم، أعرف أنك محتشمة.

تأملت الرجل الطويل القامة ذا الملامح السمراء الجذابة وردت عليه بشموخ:

ـ أعتقد أنها العادة يا سيدي.

جلس على حافة السرير:

ـ لماذا تخاطبينني بالسيد في أكثر الأحيان؟ اسمي غاي.

ـ لأنك.. لأنك تزعجني أحياناً.

كادت تضيف أيضاً أنها تقول سيدي في محاولة غير واعية منها لتذكير

نفسها بالفرق بينهما.

ـ أنت تجعلني أنسى كم كنت رقيقاً معي.

قبل اعتذارها الأجوف بجفاف ثم بدأ بوضع تعليماته بشأن ما يجب أن تفعله وما يجب ألا تفعله: يجب أن تتناول الفطور في السرير والقهوة على الشرفة تحت أشعة الشمس، وعليها أن تمشي بعد الغداء على أن تستريح بعد ذلك.

اعترضت قبل أن يكمل نصف كلامه:

ـ قف! أنا لن أستطيع أبداً تذكر كل ذلك.

قال مهدداً:

ـ من الأفضل لك أن تتذكري أو والله سأتولى بنفسي تنفيذ هذه الأوامر.

صرخت وقد آلمتها القسوة في صوته: أنت رهيب!

أجابها متوعداً بلباقة:

ـ وأكثر من ذلك! ربما تتحسرين على عدم قرب والدك منك لبدلك ولكنك بحاجة أيضاً إلى والد يضربك كي يجعلك مطيعة أكثر. ربما لم تذق قدماك الجميلتان طعم الجلد على يد رجل ولكن ذلك سيحدث قريباً!

اعترتها موجة غضب عارمة سرت في أوصالها فيما كان يحدق إليها بسخرية متفحصة.

ـ يضفي الغضب على وجهك لوناً جميلاً يا جوليا وأستطيع التأكيد أني لن أواجه صعوبة كبيرة في البحث عن زوج لك حالما يستقر هذا اللون بصورة دائمة على وجهك مضيفاً الجاذبية إلى ملامحك الجميلة.

قال غاي ذلك ثم قام وغادر الغرفة.

كانت جوليا غاضبة كثيراً ولم تكن لديها النية في إطاعة غاي، ولكن كلما قررت عدم الإذعان له تتذكر تهديده وتخونها الشجاعة لتقوم بذلك. وجدت نفسها في الأيام القليلة التالية تنفذ أوامره بحذافيرها، واحتقرت نفسها لأنها أذعنت كثيراً.

وعلى الرغم من ذلك فعندما أعلن الطبيب عن سروره لتحسن صحتها

اعترفت لنفسها بأن غاي كان على حق. كانت تشعر بأنها أفضل حالاً وأبهى طلة، ومع أنها لم تستطع استعادة الوزن الذي فقدته فهي لم تبدُ وكأن نسمة ريح تستطيع أن تطيح بها.

اكتفت في البداية بتبادل الأحاديث مع خالتها أو التنزه في الحديقة مع التوأمين اللذين كانا يلحقان بها كظلها. لم تكن تشاهد كثيراً لورين التي بدا أنها دائماً تمضي وقتاً مع غاي في مكان أو آخر. كانت لورين تقوم قبل أن تلحق بغاي إلى طريق المزرعة البعيد بالتأكد من وجود إحدى الخادمات حولها للمساعدة في العناية بالولدين ولو كانت جوليا من كلفت بالعناية بالتوأمين لما أهملتهما بهذه السهولة.

كان غاي يبدي في جميع الأحوال اهتماماً زائداً بلورين ويجدها جذابة ولكن جوليا لم تستطع أن تجزم فيما إذا كان واقعاً بحبها أم لا. حاولت أن لا تشغل بالها كثيراً بهذا الأمر خاصة وأن أفكارها كانت منصبة على شؤون كثيرة أخرى. لقد أحبتها الخالة مافيز وكذلك التوأمين اللذين لازماها باستمرار.

عندما استجمعت أخيراً قوتها ورباطة جأشها غامرت في الخروج من المنزل وتعرفت إلى بعض العاملين في المزرعة. رعاة البقر الذين يعتنون بالماشية والخيل في كامارج. أعجبت بهم جوليا كثيراً وتمنت أن يحبوها. تعلمت منهم الكثير عن المنطقة المحيطة بهم وبدا أنهم دائماً على استعداد للتفرغ لها لتوضيح ما تريد أن تعرف عنه شيئاً.

اقترب منها غاي وهي في الحديقة بمفردها صبيحة يوم حار، فوجئت ولكنها سرت للقياه. كانت ترتدي فستاناً صيفياً مصنوعاً من القطن أصفر اللون كان والداها قد ابتاعاه لها في إحدى رحلاتهما الخارجية، لونه يزيدها جمالاً. أدركت أن نظرات غاي مسلطة عليها وكما يحدث دائماً عندما تجده ينظر إليها بهذه الصورة يعتري وجهها الرقيق الاحمرار الخفيف.

ـ إن صحتك تتحسن بسرعة يا جوليا.

التفتت إليه بشوق وكان يجلس إلى جانبها على المقعد الذي كانت

تجلس عليه.

ـ نعم! إني أشعر بتحسن كبير.

ـ أتمنى أن يكون قلبك قد برأ أيضاً من الحزن؟

أومأت إيجاباً وكانت قد بدأت تدرك مؤخراً أنه لم يعد يؤلمها التفكير في فقدان أمها وأبيها وحرك مشاعرها بقوة أن تكتشف اهتمام غاي بهذا الأمر ولئلا تأخذها هذه المشاعر الخطرة وتسيطر عليها فضلت أن تسأله بصورة مفاجئة عن عمال الماشية.

قال لها بفظاظة:

ـ لا شك أنك تشعرين بالتحسن لتبذلي الجهد في التعرف إلى رجالي.

كادت ترد عليه وتقول إنها على الأقل لا تمضي وقتاً معهم أكثر مما يمضيه هو مع لورين ولكنها أدركت أن جوابها ليس منطقياً فهو ولورين صديقان منذ زمن بعيد أما هي فغريبة بينهما وهو قد يشعر أن من واجبه تحذيرها من الاقتراب من الرجال الغرباء. أخبرته بصوت هادىء وهذا ما كانت تفعله دائماً للمحافظة على الانسجام بينهما:

ـ لقد قدمني فورتش وفيتز إلى بعضهم عندما كانا يجولان بي حول أبنية المزرعة، وهو أمر لم يكن باستطاعتي القيام به بمفردي.

ـ هل يتصرف الولدان معك بلياقة؟ لقد أخبرتهما أن لا يلحقا بك أينما ذهبت.

ـ ولكنهما لا يسيئان لي أي إزعاج! أرجو ألا تكون قد أخبرتهما أني أشتكي منهما، فهما لا يجدان الرفقة إلا عندي.

ابتسم لها من دون أن تظهر عليه علامات السرور:

ـ إنها ليست غلطة مافيز في عدم استطاعتها الاعتناء بهما أكثر لأن صحتها ليست على ما يرام.

ردت جوليا بتحد وهي تغلق عينيها قليلاً:

ـ يفترض بلورين أن تكون الشخص الذي يعتني بهما. لقد سمعتها بنفسي تقول إن ذلك هو سبب وجودها هنا.

تمنت لو لم تقل هذا الكلام عندما سمعت صوت غاي الغاضب:

- إنها لا تتركهما أبداً إلا إذا كانت إحدى الخادمات معهما والأفضل ألا تنتقدي ضيوفي.

قالت له إنها متأسفة بصوت هامس من دون أن تجرؤ على النظر إليه لأن دفاعه عن لورين أصاب قلبها بالبرودة.

تنهد قليلاً وكأن صبره قد نفد وقال لها «لا عليك».

عندما امتنعت عن الكلام بعد ذلك انحنى نحوها ووضع إصبعاً على ذقنها ورفع رأسها المطأطأ ولاحظت أن الدموع تكاد تنهمر من عينيها فحاولت أن ترف عينيها بسرعة كي تمنع ذلك.

سألها برقة: لماذا؟

هزت جوليا رأسها وهي تشعر بالعجز. لم تكن تريد أن تعترف أنه كلما تكلم معها بحدة تشعر بالألم لأن ذلك يكشف عن حالة مشاعرها الغريبة ومع ذلك يمكن الاعتذار بأي شيء. همست تقريباً صادقة: لا أعرف.

قربها منه برقة حتى كادت تسمع صوت تنفسه:

- أنا قاسٍ يا جوليا. بدأت تستعيدين قوتك ولكنك ما تزالين هشة ويجب ألا أنسى ذلك.

لم تحاول التملص منه لأن قربها منه يجعلها تحس بالراحة ولم تنسَ كيف شعرت عندما جلس قربها على السرير لإعطائها الدواء فقد أحست وكأنها سفينة وصلت إلى مرفأ الأمان بعد عاصفة هوجاء. كان الهدوء مخيماً على الحديقة وشعرت أن باستطاعتها البقاء هكذا طوال اليوم.

بدا وكأنه لا يريد أن يفلتها ثم أخذ يمسح شعرها المنسدل على وجهها الشاب.

- إن شعرك جميل يا جوليا ومنذ أن بدأت صحتك بالتحسن اكتسب بريقاً ممتعاً للنظر.

سرعان ما اختفى دمعها وابتسمت له:

- سوف تدير رأسي يا غاي.

- هل هذا ممكن؟

ضحك وكأنه يحاول إيجاد جملة أخرى ولكنه انحنى عليها فجأة وأخذها بين ذراعيه ولم تقم بأي محاولة لتجنب ذلك.

لامست يده شعرها برقة ولكن ذلك سرعان ما تغير لأنها كانت تشعر بقوة الأحاسيس التي جعلت قلبها يقفز، ابتلعت ريقها فهي خائفة قليلاً من هذه المشاعر. كانت تشعر بنبضات قلبه وبيده التي تداعب شعرها وأحست فجأة بأنها أصبحت في غير عالم.

رفع رأسه فجأة وقد عادت البرودة إلى عينيه وأفلت من بين ذراعيها وقفز على قدميه مبتعداً عنها:

- يجب أن أذهب يا جوليا، لقد نسيت أني مرتبط بموعد.

- حسناً يا غاي.

أظهر جسمه الطويل عندما أدار لها ظهره مدى رجولته. كان مرتدياً قميصاً رقيقاً يظهر عرض منكبيه على سروال أزرق ضيق يظهر مدى تناسق جسمه. بدا شكله بصورة عامة مؤثراً.

حاولت أن تقول أي شيء لتبقيه معها ولكن الكلمات تحشرجت في حلقها.

بعد ذهابه بقيت جوليا في مكانها تحس بنوع من الدوار وهي تحاول مقاومة القوة المندفعة من عواطفها. وصلت لورين فيما كانت تفرك جبينها بطلقة تنهيدة حيرة، وبقيت واقفة ولم تجلس قربها كما فعل غاي.

سألت ببرودة:

- هل كان ذلك الشخص الذي رأيته مغادراً هو غاي؟

هزت جوليا رأسها بالإيجاب وعضت على شفتها فهي تعرف بدون شك أنه غاي.

ومضت عينا الفتاة الأخرى بالكراهية وراحت تنظر إلى مظهر جوليا المضطرب:

- هل تشعرين بالتوعك ثانية؟ إن الاحمرار الشديد يغطي وجهك.

- ذلك من جراء حرارة الشمس.

عبست لورين في جوليا للحظة ثم قالت بحدة:

ـ ستجدين أن الشمس ليست الشيء الوحيد الحار في فرنسا يا آنسة وارد وأشعر أن من واجبي تحذيرك.

حاولت جوليا أن تفهم ما الذي تعنيه لورين عندما أردفت:

ـ إن عواطف الرجال هنا حارة مثل الشمس. أعترف أن قلة من الرجال الإنجليز تجري في عروقهم دماء حارة ولكن نادراً ما يمكن مقارنتهم بالرجال الفرنسيين.

تململت جوليا منزعجة من تحديق لورين الحاقد وسألت لتستوضح إن كانت قد رأتهما:

ـ أنا لا أفهم ما الذي ترمين إليه.

ـ لم أظنّك قليلة الحيلة وساذجة يا جوليا. ما أحاول قوله يصبّ في خانة مصلحتك. قد يجد غاي أن براءتك مغرية. إن كان هناك فتاة ستكون زوجته يا جوليا فأنا هي هذه الزوجة!

***

فراشة المحبة

٣ ـ لمن الكلمة الأخيرة؟

فيما كانت جوليا تحدق وهي تشعر بالحرج الشديد لأن الكلام خانها ارتدت لورين كما فعل غاي وتركتها.

حاولت جوليا أن توقف لورين «انتظري من فضلك انتظري!» ولكن لورين تجاهلتها بحركة مسيئة من رأسها. كانت جوليا ترغب في أن تقول لها إنها لا تهتم لأمر غاي، وإن لا نية عندها للبقاء في هذا المكان أكثر من ذلك. كادت تقوم عن مقعدها لتلحق بلورين وتخبرها ذلك ولكنها جلست ثانية متنهدة بحسرة. إذا لم تكن لورين مستعدة لسماعها فلماذا تعيرها انتباهها؟

ظلت جوليا جالسة في الحديقة تحت فيء أشجار الصفصاف ولكن الجو الهادىء كان قد تهشم. كان جسمها وعقلها قبل ذلك في حالة استرخاء وكسل ولكنها وجدت أن من المستحيل أن تشعر بالراحة، ولم تستطع إلا التساؤل لماذا تعتقد لورين أنها تشكل خطراً على مخطط زواجها.

تنهدت جوليا ثانية ولكنها فعلت ذلك هذه المرة بصوت مرتفع. لماذا كلما كانت هي وغاي قريبين بدا أن أمراً ما يحدث ويزيدهما تقارباً؟ وفي هذه الحالة يبدو أن عواطفهما تصبح مشدودة إلى بعضها بعضاً كالمغناطيس. ومع ذلك لاحظت أن في هذا التفسير شيئاً من المبالغة وهي ابتعدت كثيراً في تقديرها للأمر..

مشت جوليا بتؤدة عائدة إلى البيت وكانت ضائعة في أفكارها لا تعي

إلى أين هي ذاهبة. سرت كثيراً عندما خرج التوأمان يتسابقان بحثاً عنها وقطعا عليها حبل أفكارها.

انضمت إليهما في لعبتهما ضاحكة. أحست بالراحة لأنهما استطاعا أن يجعلاها تنسى خالهما لدقائق قليلة.

ـ الغداء جاهز، أرسلتنا هورتنس للبحث عنك.

ابتسمت جوليا وهي تنظر إلى وجهيهما الصغيرين المفعمين سعادة. راحا يشدانها إلى داخل البيت.

ـ إذن يجب ألا ندعها تنتظر، أليس كذلك؟

سمعت جوليا للمرة الأولى أنه ستقام حفلة عشاء عندما ذكرت مافيز أن غاي سيقيم الحفلة مساء الغد وكان ذلك بعد أسبوع من حادثة الحديقة فشعرت بالاستياء قليلاً لأن أحداً لم يخبرها قبل ذلك.

سألت بعفوية من دون مراعاة اللياقة والتهذيب:

ـ لماذا؟ هل هناك مناسبة خاصة؟

ظهرت الحيرة على وجه مافيز بسبب استياء جوليا غير العادي:

ـ لا! كان يجب أن أخبرك قبل الآن ولكن غاي لم يقرر إقامة الحفلة إلا منذ أيام قليلة. وقد ارتأى أن تبدئي بالتعرف إلى بعض جيراننا، خاصة منهم بعض الشبان. لقد مضى على وجودك معنا حوالى شهر أو شهرين.

ـ لقد فهمت!

ـ أنا أحب وجودك معنا هنا وكأن ابنتي فايمي عادت إلى المنزل ثانية ونشعر بأن علينا أن نوفر الأفضل لك.

لاحت لجوليا فرصة سانحة عليها عدم تفويتها لإعطاء خالتها لمحة صغيرة عن المستقبل فقالت بمرارة:

ـ كنت في غاية اللطف معي وسأكون دائماً شاكرة لك ذلك ولكن يجب أن أفكر في إيجاد ما أقوم به. أنا لا أستطيع البقاء هنا إلى ما لا نهاية.

ـ ولم لا؟ أما علمت أن بيتك سيكون هنا معنا؟ وبالتأكيد أنت لا تريدين العودة إلى انكلترا، أليس كذلك؟

ـ لا، في الواقع لا. لقد دعاني غاي للإقامة هنا إنما لا أظنه أراد مني أن أحمل كلامه على محمل الجد. على أي حال أنا لا أستطيع البقاء بدون القيام بأي عمل طوال حياتي، فما هذا بأمر جيد لي.

ـ ولكنك لست كذلك! أنت تقومين بأعمال كثيرة. فأنت تساعدينني خاصة في الأيام التي أجد فيها صعوبة في التحرك. وهنالك أمر آخر ربما عليّ ألا أخبرك به، فأنا لا أعرف ماذا كنت سأفعل بالولدين لولاك.

لم تأتِ مافيز على ذكر لورين. فلم تأت جوليا على ذكرها أيضاً.

ـ ستعود أمهما قريباً، حتى وإن كانت غائبة فلديك الكثيرات من الخدم.

شعرت مافيز بالغصة وردت على جوليا:

ـ آه، ولكن إنما ليس الأمر ذاته. إن خادماتنا جيدة ولكنهن لسن مثل من هو من لحمهم ودمهم. لا لا كفي عن هذا الهراء واطردي فكرة تركنا من رأسك. وستتزوجين بسرعة.

اختار غاي لسوء الحظ، هذه اللحظة، ليدخل عليهما وانزعجت جوليا عندما كررت له كل ما قالته. لم تبدُ متحمسة فقط بل استطاعت أن تظهر مدى انزعاجها إذ راحت تتوسل إلى غاي كي يقنع جوليا.

ظهرت علامات القسوة على وجه غاي عندما كان يحاول تهدئة مافيز ثم جر جوليا معه إلى مكتبه.

ـ لديك موهبة في إزعاج الناس. أنت تزعجين لورين دوماً.

ما قاله كان غير صحيح وهذا ما جعل جوليا تعجز عن الكلام. دفعها إلى داخل المكتب الصغير الحجم وأغلق الباب وراءه بعنف.

ـ يجب أن أضربك من أجل ذلك حتى أفقدك الوعي وحتى أجد متعة في التنفيس عن غضبي فقط.

اعتذرت منه وهي تأمل أن يرضيه ذلك مع أنها شعرت بأنها لم تفعل شيئاً يوجب الاعتذار. كانت ترتجف قليلاً وبدا أنها لا تستطيع السيطرة على نفسها وكانت متأكدة أنه يشعر بذلك لأنه ما زال ممسكاً بيدها ويشعر برجفتها. صر على أسنانه وأطلق صوتاً جعلها أكثر تشنجاً وخافت أن ينفذ

تهديداته السابقة، ولكنه تنهد تنهيدة قوية أزالت غضبه فشعرت بالراحة.

ـ ما خطبك يا جوليا؟ نعمل جميعاً على راحتك ولكن ربما تشعرين بأننا لا نقوم بذلك بصورة كافية.

ـ أنت أدرى! لا أشكو من أي شيء.

ـ إذاً ما الذي يزعجك؟

لم تكن جوليا تميل إلى تكرار كل ما كانت تحاول شرحه لخالتها، فاكتفت بهز رأسها.

تأملها بدقة وكأنه يقلب الأمور في عقله.

ـ تبدو صحتك في تحسن مستمر وتمضين وقتاً كثيراً مع الولدين وعلمك عمالي ركوب الخيل. وإن أخذت كل ما يحدث بالحسبان لأقسمت أنك بدأت تستمتعين معنا.

اتسعت حدقتا عينيها: لم تكن تظن أنه يلاحظ كل ما كانت تفعله:

ـ كيف اكتشفت أنني أتعلم ركوب الخيل؟

ـ إن معرفة كل ما يجري على أرضي هو شأن من شؤوني.

توردت جوليا خجلاً وشعرت بسذاجتها، فرجل مثله لن يكون إلا بهذه الدقة.

ـ كان يجب أن أخبرك قبلاً، أتمنى ألا تكون غاضباً على عمالك. لقد كنت أراقب الخيل ذات يوم مع الولدين عندما ذكرت أنني لا أجيد ركوب الخيل فعرض العمال أن يقوموا بتعليمي. ربما لم يكونوا جادين ولكني لم أعطهم الفرصة كي يبدلوا رأيهم.

ـ أتظنين أنهم لم يطلبوا الإذن مني أولاً؟

ـ كان يجب أن أعرف.

ابتسم غاي وظهرت أسنانه البيضاء وانفرجت أسارير وجهه القاسي والأسمر اللون.

ـ لا تقلقي يا صغيرتي، أنا سعيد من أجلك ولا أعترض على قضائك الوقت معهم أحياناً. لن يفعلوا ما يؤذيك. يبدو أنهم افتتنوا بك.

سألته متشوقة لأنها أصبحت تستمتع بركوب الخيل وتكره التخلي

عنها:

ـ إذاً لا مانع عندك؟

ـ أبداً! وهكذا أرى أنك بدأت تتأقلمين بسرور، إذاً ما الذي جعلك تتحدثين عن تركنا وهو ما أزعج خالتك؟

تمنت جوليا لو لم يطرح هذا السؤال ولكنها لا تستطيع بأي حال تجنب الإجابة:

ـ لقد أخبرتني أنك ستقيم غداً حفلة عشاء وفهمت أن المناسبة هي على شرفي.

ـ نعم، هذا صحيح!

لماذا يلجأ إلى عدم المهادنة؟ ابتلعت جوليا ريقها بصعوبة تحت مراقبة عينيه الزرقاوين وأجبرت نفسها على إكمال الحديث.

ـ لقد ذكرت حفلة العشاء لأني لا أريد منك أن تتكبد النفقات لتقدمني إلى أشخاص قد لا أقابلهم ثانية. ربما لم يكن يجب على وجه التحديد أن أقول هذه الكلمات بالذات ولكن هذا ما أعنيه.

بدا أن غاي أهمل معظم توضيحاتها المضطربة.

ـ ستلتقين بهؤلاء الناس ثانية.

ـ لا.. لن أقابلهم إن عدت إلى انكلترا.

ـ إنسي هذا الموضوع لأنك لن تعودي إلى هناك ولن أسمح لك بإزعاج مافيز من غير ضرورة.

هزت جوليا رأسها غير راضية. بدت الصرامة على وجه غاي بصورة جعلت من الجنون مناقشته. كانت لديه القدرة على وضع الأمور تحت سيطرته ويرفض ألا يطاع.

ـ لقد حان الوقت لتقابلي الشبان والشابات من عمرك. وإقامة حفل عشاء من أسهل الطرق للقيام بذلك.

ماذا عنى بالشبان والشابات؟

«أنا راضية» ـ وكادت تقول وهي دهشة من نفسها ـ «معك» ولكنها منعت نفسها من ذلك وأضافت «كما أنا».

ـ ليس لوقت طويل.

سألته بحدة وهي تراقب ببأس خطوط وجهه القاسية:

ـ كيف تعرف ذلك؟ أنا لم أهتم بالشبان الذين هم من عمري.

أجابها ساخراً مما جعلها تحمر خجلاً:

ـ هل ذكرت الشبان بالتحديد؟

ـ لا، لا لم تفعل، ولكني لم أنسَ أنك تنوي تزويجي.

ـ إذا كففت عن تذكيري بهذا الحديث كثيراً فلربما أنسى.

كانت تشعر عندما يتكلم معها برقة بدفق من المشاعر المتصارعة. يوقظ قربه منها أحاسيس لا تعجبها ولا تفهمها، كان لديها اقتناع مخيف أنه إذا قدمها إلى بعض الشبان فستقارنهم به وستجدهم لا يرتقون إليه.

ـ سأذهب وأبحث عن خالتي مافيز وسأعتذر لها عن قلة إدراكي.

أمسك ذراعها ثانية وكأنه ظن أنها ستهرب:

ـ نستطيعين أن تقومي بذلك فيما بعد. هل لديك سروال جينز؟

ـ نعم عندي واحد، لماذا؟

حاولت أن تسيطر على الحيرة التي تعتريها دائماً عندما يلمسها وشعرت بالرعشة عندما شدد أصابعه على ذراعها.

ـ واحد فقط؟ أنت تدهشيني يا جوليا. كنت أعتقد أن سراويل الجينز تشكل جزءاً هاماً من لباس الفتاة العصرية.

ـ أنا أحب ارتداء الجينز، نقد سافرنا بالطائرة ولذلك لم أستطع أن أجلب عدداً منها.

برقت عيناه وقال:

ـ لقد وضعت كثيراً من أغراضك في صندوق وطلبت من مالكة البيت أن تهبها للجمعيات الخيرية لأنني وعدتك بأني سأعوض عليك. كان يجب أن تذكريني.

ـ لم أفتقدها كثيراً لأن الجو لطيف وحار.

ـ تبدين جميلة جداً في فساتينك القطنية ولكني أعتقد أن الوقت قد حان لأريك بعض المناطق الريفية المحيطة بنا والطرقات وعرة ومليئة

بالغبار. اذهبي وارتدي سروال الجينز وقابليني في الخارج بعد خمس دقائق.

أدركت جوليا أن عينيها تشعان ولم تر سبباً لإخفاء الحماس الذي استولى عليها كلياً.

ـ هل تعني ذلك حقاً؟

أطلق ذراعها ودفعها بيده: نعم، هيا أسرعي!

كانت قد أصبحت عند الباب عندما زال الحماس فجأة والتفتت إليه لا إرادياً:

ـ ماذا عن لورين؟ هل نسيتها؟ هل أذهب وأخبرها؟

ـ تقولين لها ماذا يا طفلتي؟

سحبت جوليا نفساً مرتعشاً فيما كانت عيناه تحدقان إليها.

ـ أخبرها أننا ذاهبان في نزهة وأسألها إذا كانت ترغب في المجيء؟

ـ كلا، لا تهتمي للأمر، على أحد ما أن يرعى الولدين.

لم يكن عند جوليا أدنى فكرة عن المكان الذي يعتزم أن يصحبها إليه ولكنها لم تهتم للأمر. شعرت بسعادة عارمة ولم تستطع أن تفكر إلا في أنها ستكون معه داخل الشاحنة الكبيرة.

فكرت بعد مأساة موت والديها أنها لن تعرف معنى السعادة ثانية ولكنها الآن خجلة من نفسها تقريباً لأنها بدأت تنسى.

فكرت في قيادة غاي. كثير من الرجال يحسن قيادة السيارة مثله ولكن قلة منهم يعطونها الشعور بالأمان مثله.

ـ أنت تذكرني بسائقي التاكسي في لندن.

ـ ميرسي.

ـ أتشعر بالإهانة؟

ـ بل أشعر بالثناء لأن سائقي التاكسي في لندن هم أمهر السائقين في العالم.

لاذت بالصمت بعدما قالت له «هذا صحيح» فيما كان يدور في بالها أن لشخصية الرجل الذي يجلس بجوارها جوانب عديدة. حسدت لورين

إذا كانت ستتزوجه. توردت وجنتاها عندما وعت مسار أفكارها وأكدت لنفسها بسرعة أنها تفكر في الأزواج بصورة عامة ولا يجدر بها أن تضع غاي في الصدارة.

على الرغم من ذلك لم تستطع أن تمنع نفسها من التحديق إليه. كان يرتدي في هذا الوقت من بعد الظهر سروالاً ضيقاً من الجلد وقميصاً مفتوحاً عند العنق. كان يتمتع بحيوية توقف نبضات القلب ولاحظت جوليا أنها تغلف أحاسيس من الرجولة القوية غالباً ما كانت مخبأة تحت القليل من الغرور والكبرياء الفولاذي على وجهه.

عندما التقت عيناه عينيها الساهيتين تقلص فمه بلمحة سرور:

ـ فيم تفكرين الآن؟ أما زلت حانقة لأني وبختك؟

ازداد تورد وجهها ولم تحاول الادعاء أنه لم يلاحظ ذلك.

ـ لا! أنا فضولية فقط.

ـ بشأني أنا؟ لقد أثرت فضولي أيضاً، هل تسمحين أن أسألك لماذا؟

ـ لا شيء..

ـ لا شيء؟

ـ كنت فقط أتساءل لماذا لم تتزوج وأعلم أن ذلك ليس شأناً من شؤوني.

ـ ربما كنت بانتظار الفتاة المناسبة.

ـ وهل وجدتها؟

بدأ الامتعاض يظهر على وجهه:

ـ أعتقد ذلك، ولكني غير متأكد من كونها الفتاة المناسبة لي أو العكس.

كان يتكلم عن لورين ولسبب ما كان متردداً.

ـ تبدو ذا دم بارد لأنك تتكلم وكأنك تقوم بصفقة عمل.. وأنا أعتقد أن الشخص إما يكون واقعاً في الحب وإما غير واقع.

ـ لا شيء بهذه السهولة بتاتاً يا جوليا.

تساءلت جوليا عن سبب خشونة صوته.

ـ حسناً، لو كنت مكانك لسألتها فقد تكون على موعد مع مفاجأة سارة.

ـ أعتقد أنها هي التي ستحصل على مفاجأة غير سارة، فأنا لست متأكداً من مشاعري حتى الآن.

«فهمت»، كانت على وشك أن تفشي السر وتقول إنها متأكدة أن لورين ستوافق إذا طلب منها أن تتزوجه، ولكن الموضوع تغير كلياً عندما ظهر أنه غير متأكد من مشاعره نحوها. أرغمت جوليا نفسها على تحويل بصرها عنه إلى خارج نافذة السيارة وأصيبت بالحيرة كما اكتشفت أن معنوياتها ارتفعت بشكل دراماتيكي.

أشار غاي بعدما عبروا مستنقعاً كبيراً إلى طيور البجع والفلامينغو وغيرها ولكنه لم يتوقف حتى وصلا إلى مرتفع تظلله الأشجار وقال لها: إذا صبرنا كفاية فقد يمر رعيل من الخيول البيضاء، لأن الخيول البرية دائمة الانتقال إلى المراعي الخضراء وربما يحالفنا الحظ هذا اليوم.

رحبت جوليا بهذا التوقف القصير في ظل الأشجار التي حمتها من حرارة بعد الظهر. بعدما توقف صوت محرك السيارة بدأ عدد من الحيوانات الصغيرة يظهر من بين الشجيرات. راقبت باهتمام بعض الأرانب التي أسرعت بالفرار حالما ظهر ثعلب جائع ولكنها لم تشعر بالإثارة حتى ظهر خنزير بري مع قطيعه.

تأبطت ذراع غاي:

ـ انظر! إنها تبدو متوحشة. هل نحن بأمان منها؟

ـ قد أشعر بالأمان معها أكثر مما أشعر به معك خاصة إذا استمريت بالتعلق بذراعي.

اندفعت الحرارة إلى وجنتي جوليا وأبعدت يديها عنه وكأن شيئاً قد لسعها. غصت بفعل الحرج الذي شعرت به.

ـ أنا آسفة! كنت أقصد.. هل هي خطرة؟

وعندما لاحظت آثار أصابعها على ذراعه مدت يدها إلى ذراعه ومسحتها.

ـ كفي عن القيام بذلك.

قالها بقسوة، ومع ذلك بدا أنه يرمقها ويتأملها من رأسها إلى أخمص قدميها.

اعتذرت ثانية عندما وجدته عابساً بطريقة أشبه بالنحيب. عندما سمع ذلك أمسك بذقنها مستوضحاً وحرك وجهها لئلا تستطيع تجنب النظر إليه مباشرة.

ـ أنا شرس، تعالي إلى هنا.

كانت مقدمة السيارة واسعة ولكن مقبض تغيير السرعة وأشياء أخرى فصلت بينهما. كانت هناك أسباب كثيرة لتجنب ما حدث، ولكن جوليا كانت من الضعف بحيث لم تستطع منع حدوثه. حاولت المقاومة من دون جدوى وكأن يديها أخذتا تتصرفان على هواهما فلمست وجهه وشعره قبل أن تعقدهما حول عنقه.

ظلا على هذه الحالة عدة دقائق تبادلا فيها العناق وامتلأت جوليا بأحاسيس كانت غريبة عن وجدانها.

ثم صهل حصان في مكان قريب تبعه صوت حوافر، وتشنج غاي.

ابتعد عنها وعيناه تومضان كالنار الأمر الذي قطع أنفاسها. استقام في جلسته وأخذ وجهه تعبير اللامبالاة، أما هي ففغرت فمها دهشة من قدرته على إعادة السيطرة على نفسه.

هزها بقسوة وأعادها صوته الصارم إلى طبيعتها.

ـ تعالي يا جوليا، ليس لدينا سوى دقائق قليلة لنشاهد الخيول.

ـ الخيول البرية؟

ـ نعم.

شدت على أصابعها ثم أرختها وشاهدت خلف الشاحنة رعيلاً من المخلوقات الغريبة البيضاء اللون يركض وتنساب من خلفها الذيول مثل جداول المياه.

بدا لجوليا أنها تراها من خلال عينين زائغتين. أعطاها هذا المنظر انطباعاً عن الوحشية وحرية رائعة غير مقيدة.

لم يظهر على غاي التأثر وظل لا مبالياً على عادته. انتقل نظره مجدداً إليها متأملاً التشوش الظاهر على وجهها بسخرية وجدت صعوبة في تصديقها.

ـ حسناً، ماذا تظنين بهذه الخيول؟

ـ لست متأكدة. لم يتسنَ لي الوقت لمشاهدتها بصورة أفضل.

ـ كثيراً من الناس يحصلون على وقت أقل.

شعرت أنه يسخر منها وعاد اللون الأحمر إلى وجهها مجدداً.

ـ لماذا عانقتني؟

ـ بعض الأمور لا تحتاج دائماً إلى سبب، أليس كذلك؟ ألقي اللوم على الظروف إذا أردت ذلك، المكان المنعزل والحرارة أو هفوة فقط.

ـ هفوة!

ـ أنت فتاة جميلة يا جوليا، ربما فقدت السيطرة على نفسي.

ـ ولكنك تستطيع السيطرة على نفسك دائماً.

ـ نعم، ومع ذلك لا أعتقد أن أي شخص معصوم عن الخطأ. عندما عانقتك كنت عن غير وعي أحاول أن أنزع هذا التحفظ الذي ترتدينه مثل الدرع. إذا كنت ستقابلين شباناً آخرين فلا أريد أن يظنوا أنك غير قادرة على أن تكوني ودودة. ما الذي أصابك يا جوليا وجعلك انعزالية؟

ـ أنت تتخيل الأشياء.

ـ أنا لا أتخيل. حتى خالتك مافيز لاحظت نوعاً من الخجل وتلوم أمك على ذلك.

وجدت جوليا نفسها فوراً في موقع الدفاع.

ـ لقد أخبرتني فقط عن تصرفات الرجال.

ـ وطلبت منك عدم السماح لهم بالاقتراب منك؟

أهو خروج عن المألوف إذا حاولت الأم حماية ابنتها؟

أجابت: لقد كانت أمي تحاول حمايتي فقط.

ـ كان عليها أيضاً أن تؤمن لك منزلاً مستقراً.

ـ أملت أن تفعل ذلك في أحد الأيام.

تنهد غاي وخطوط العبوس تغطي وجهه. كان يناور بالسيارة ويقودها بعيداً عن الأشجار.

ـ أعتقد أننا تجادلنا بما فيه الكفاية وأصبح الوقت متأخراً لنتابع الشجار. فلنرجع إلى البيت.

وجدت جوليا أن نزهتها كانت أقل مما توقعته ولكنها لم تتقدم بشكوى. التزم غاي الصمت عابساً طوال رحلة العودة بحيث لم تجرؤ على أن تسأله إذا كان سيصطحبها في نزهة ثانية في يوم آخر. كانت لورين بانتظارهما عندما وصلا إلى البيت وانطلق صوتها بغضب بلهجة فرنسية استحال على جوليا متابعتها. استطاعت أن تفهم كلمة من هنا وكلمة من هناك والنتيجة أن لورين حانقة جداً لأن غاي خرج وتركها في البيت.

سمح لها غاي بالكلام عدة دقائق ثم أمرها بلباقة أن تسكت ومن بعدها انسحبت جوليا لأنها لم يكن عندها رغبة في زج نفسها فيما بدا أنه شجار بين عاشقين.

انتقت في الليلة التالية ليلة العشاء ملابسها باعتناء. ارتدت فستاناً أسود اللون وهو فستان ابتاعته أمها لنفسها ثم تخلت عنه. تركته في لندن عندما زارتها لآخر مرة واحتفظت به جوليا لأنه كان تقريباً الشيء الوحيد الذي بقي لها من ذكرى أمها وأيضاً لأنه غالي الثمن. كانت أمها كريستان وارد في الأربعينات من عمرها، امرأة نحيلة لذا ناسب قياس الفستان جوليا. اعتراها الشك عندما انتهت من ارتدائه فبسبب الياقة المنخفضة وجدت أنه أنسب لامرأة أكبر منها وهو إلى ذلك لا يضيف شيئاً إلى جوليا. والأنكى أنه بدا عليها رخيصاً ومبتذلاً.

ورغم ذلك أقنعت نفسها بعناد أن ذلك ما تسعى إليه من مظهر لئلا تلفت نظر العديد من الشبان الذين يأمل غاي من أحدهم أن يضعها على عاتقه.

قامت بتجعيد شعرها بعدما استعارت ملقط التجعيد من هورتنس ووضعت ماكياجاً ثقيلاً على عينيها وأحمر شفاه براق أخذته من إحدى الخادمات. عندما انتهت وجدت أن مظهرها أصبح مقرفاً.

لم يكن عندها شك في أن أمهات الشبان اللواتي سيأتين معهم، سيبذلن جهدهن لسحب أولادهم بعيداً عن الخطر الواضح المتمثل فيها. ولم تسمح جوليا لنفسها أن تشعر بالخجل وهي ترش على جسمها عطراً ثقيلاً اشترته في القرية الكبيرة عند الظهيرة.

لم تشاهد غاي طوال اليوم. تكون عادة موجودة عندما يعود في المساء ولكنها بذلت جهدها لتتجنبه وتمنت أن تستطيع تجنبه حتى تصل إلى صالة الطعام وتحتمي بالموجودين، فما إن تصبح في الصالة حتى يصبح باستطاعتها الصمود أمام نظراته ولم تكن تنوي أن توفر له فرصة تأنيبها بالكلام قبل وصولها إلى الصالة.

فيما كان كل شيء يسير على ما يرام، لم تظن البتة أن القدر سيوجه إليها ضربة قاضية. شاهدت بأسنياء فيما كانت تهم بالخروج من غرفة نومها غاي وهو يهم أن يقرع الباب.

بغت للحظة ونجمدت يده في الهواء وكأن قوة الغضب البارد سمرته في مكانه. أصابت النظرة في عينيه قلبها بالرجفة. سمعته يزفر بقوة ويستعلم بلياقة:

ـ لا تقولي إنك نازلة إلى صالة العشاء بهذا المظهر!

فكرت جوليا وقد أصابها الجزع أن الوشاح الرقيق الموجود في خزانتها قد يسهل عليها أن تستر كتفيها العاريتين. ولكن الأوان قد فات لذلك فقررت أن تتحداه. ابتسمت برقة وقالت: «كنت في طريقي إلى الصالة».

لم يبدُ عليه الميل للجدال وكأنه افترض أنها أخطأت عن غير قصد ويمكن لهذا الخطأ أن يصلح بسهولة.

ـ من أين أحضرت هذا الفستان يا جوليا، إنه لا يناسبك. هل عندك فساتين أخرى؟

ـ وماذا إذا كان عندي؟

ارتكبت غلطة عندما تراجعت بتحدٍ أمام بريق عينيه المحير ولسوء حظها لحق بها إلى غرفتها.

ـ هذا فستان أسود جميل جداً. كل شخص في فرنسا برتدي الأسود.

ـ حباً بالله كفي عن تعميم الأمر! ليس كل شخص في فرنسا خاصة الصبايا. وماذا فعلت بشعرك؟ إنه أشبه بكومة قش!

ـ حسناً.. لقد جعدته قليلاً.

ـ قليلاً؟ يا إلهي أنت أشبه بكعكة.

تحول لون وجهها قرمزياً.

ـ كيف تجرؤ على تشبيهي بالكعكة.

ـ والعطر الذي تضعين.. تفه. بدل أن أقدمك إلى أصدقائي كزوجة عتيدة مناسبة يجب أن أرسلك إلى ملهى الفولي برجير. وأنا متأكد أنه قبل أن يمضي وقت طويل ستصبحين ألعوبة باريس.

لقد خرج عن طوره وكشف عن نفسه رغم ادعائه اللطف. إنه يقصد فعلاً تزويجها ليتخلص منها. سرت جوليا لأنها ارتدت هذا المظهر وصممت أن تبقي عليه.

سألت ببرودة وقد قررت بعد كل هذه الإهانات ألا تناديه باسمه الأول:

ـ ما الذي كنت تربده يا سيدي؟

رفع علبة صغيرة كانت بيده ولكنها لم تلاحظها.

ـ لقد جلبت لك هذا العقد. فكرنا أنا ومافيز في أنك تحبين أن تضعيه حول جيدك.

ـ أنا أملك عقداً.

فتح غاي العلبة التي انبعث من داخلها بريق أحجار جميلة.

ـ هل العقد الذي عندك من الألماس؟

أمسكت جوليا أنفاسها واعترفت:

ـ لا، لم أشاهد قط شيئاً بهذه القيمة ولكن أخشى ألا يتماشى مع ثوبي.

برقت عيناه بدهاء:

ـ أوافقك الرأي. صنعت قطعة المجوهرات هذه لتتزيا بها فتاة شابة

لم تفعل بنفسها ما فعلته بنفسك في الساعة الأخيرة!

ردت عليه بأدب شديد:

ـ حسناً! أنا لا أريده!

أجابها بشراسة: «سبق أن قلت لك إنك امرأة ذات استقلالية تفوق الحد. هل ستطيعينني؟ هلا كنت عاقلة ونزعت عنك هذا الفستان وأزلت الماكياج المبتذل؟ سأمهلك فرصة ثانية لتغيري رأيك ويجب أن أذكرك أننا بانتظار الضيوف وليس أمامنا المزيد من الوقت».

ابتلعت جوليا ريقها وتقلصت عضلات رقبتها وهي تحاول التعلق بأي شجاعة تستطيع أن تستجمعها. يبلغ طول غاي مئة وخمسة وثمانين وله كتفان عريضتان وعندما يغضب يطير الشرر من عينيه ويضع على وجهه قناعاً حديدياً وتصبح هيئته مخيفة. لم يكن مرتدياً سترة العشاء، بل ظهر مرتدياً قميصه وسرواله الغامق. عليها أن تأخذ قوته بالحسبان.

ـ حسناً؟

هزت رأسها بشموخ وهي تدرك أنها ترتجف على الرغم من جرأتها الواضحة وعزمها على تحديه: لا!

ـ أهذه كلمتك الأخيرة؟

ـ نعم.

قال «حسناً» وقفز، ولكنه بدل أن يغادر المكان ويأمرها بعدم حضور الحفلة أقفل باب غرفتها وأمسك بها. وقبل أن تعرف ما الذي يجري وجدت فستانها الأسود ممزقاً.

صرخت بوحشية: ما الذي تفعله؟

ـ انتظري تري.

ـ سأصرخ إذا لم تفلتني.

ـ هيا اصرخي ولكني أنصحك أن توفري جهدك إلى ما بعد فقد تحتاجين إليه.

* * *

بدأت جوليا تشعر بأن طرف المقعد الذي أجلست عليه يؤلم ساقيها فأطلقت زفرة تعبر عن الهوان. كانت تحاول التملص من قبضة غاي الحديدية، ولكنه كان واقفاً من الوراء ممسكاً بها حتى بدأت مقاومتها تتلاشى. تحركت الذراع التي كان يلفها بها ليمسك بخصلات شعرها الطويل والكثيف. عندما تحركت ثانية في محاولة أخيرة للتخلص منه شدد قبضته عليها بصورة آلمتها كثيراً وجعلتها تخضع فوراً.

ـ هل اكتفيت؟

أغمضت عينيها بتوسل صامت. أدركت أنها لا تملك القوة لتجابه قوته الخارقة ولا تمرد أحاسيسها التي ذهبت بكل مقاومة عندها. توقعت عندما أومأت برأسها ببؤس أنه سيطلقها ولكنه ويا لسوء طالعها مد إحدى يديه إلى وعاء يحتوي على الكريم وأخذ يضعه على وجهها.

ـ من شأن هذا أن يحسن هيئتك.

تلعثمت بهدوء وكان ما يزال عندها بقية من الحكمة فأدركت أنها انهزمت. إن لم تذعن فستري أن شعرها قد اقتلع من جذوره.

ـ أستطيع أن أفعل ذلك بنفسي.

رد عليها ردّ من فقد الثقة بها: إذا بدأت بعمل فسوف أنهيه.

ردت عليه بحدة وقد أصبحت أكثر إدراكاً لذراعيه المفتولتي العضلات اللتين تمسكان بها وتجعلانها أسيرة.

ـ إن قتلي لا يجدي نفعاً!

أجابها ببرودة:

ـ ليس في نيتي أن أصل إلى ذلك.

عادت الشراسة إلى جوليا. كان هناك جانب منه لم تستطع فهمه، ملامح من العظمة تعبر بوضوح عن إيمانه بأنه ليس هنالك من امرأة حية لا يستطيع التعامل معها. حامت الشتائم على طرف لسانها ولكنها لم تستطع نطقها. كان أفضل ما استطاعت أن تنطق به بعد صمت طويل:

ـ ألم تنته؟

أمرها بالصبر وراح يزيل طبقات الكريم بمنديل ورقي حتى أصبح

وجهها نظيفاً.

ـ هذه هي المرحلة الأولى فقط.

ازدادت مخاوفها وقبل أن تتمكن من سؤاله عما يعني حملها بخفة إلى الحمام ووضعها لا مبالياً تحت الدوش. فيما كانت تناضل لإعادة توازنها وتنفسها تساقطت قطرات الماء الساخن عليها فبللت شعرها وانسابت عليها. وضع غاي على شعرها كمية كبيرة من الشامبو وأخذ يفركه بقسوة من دون أن يأخذ بعين الاعتبار توسلاتها بسبب دخول الصابون في عينيها. صرخت «كفى يا غاي» ثم غصت بقوة وشعرت بأنها على وشك الغرق.

ـ وفري غضبك إلى وقت آخر يا صغيرتي، فعندي الآن من الغضب ما يكفينا نحن الاثنان.

ـ ستدفع ثمن فعلتك.

كادت اللامبالاة التي بانت على وجهه تظهر لها ماذا تعني تهديداتها له. رفعها ثانية من دون إنذار إنما في هذه المرة من تحت الدوش.

كانت الضربات التي حاولت توجيهها إليه بيديها غير فعالة لأنه استطاع تفاديها. أمسك بشعرها المبلل بسهولة وبخبرة مقاتل وأخذ ينشفه بقسوة مستعملاً منشفة كبيرة. كانت قطرات الماء تتساقط على ملابسها فصرخت به:

ـ أنظر إلى حالتي.

ـ هل هذه دعوة؟

كانت مضطربة كثيراً وحائرة بصورة لا تصدق وأصبحت غير مدركة لما تقوله أو تفعله. ولكن آخر ما كانت تفكر فيه هو استفزازه. وتمنت لو تنشق الأرض وتبتلعها من فرط الخجل. تأوهت وشفتاها ترتجفان:

ـ دعني أذهب! ماذا سيظن بنا الناس؟

عادت إليه ملامح البرودة في لمحة بصر:

ـ لا تقلقي! لن يشاهدك أحد على هذه الحالة، وعادة لا يهتم أحد بكتفين عاريتين في الفصل الحار.

دفعها مجدداً لبرهة ثم عاد للنظر إلى وجهها. عندما تلاقت نظراتهما

شعرت بثقل الهواء حولها، وظهرت على وجهها الحيرة وفجأة بدأت تتحرك مشاعرها كاندفاع مياه من النافورة. ولكن مشاعرها لم تجلب لها برودة مياه النافورة بل كانت أشبه بمياه تغلي على النار، ووجدت نفسها تتجاوب مع نظرات غاي من دون أن تعرف ما الذي يحدث لها. همست باسمه وعبرت ملامح وجهها عن العجز.

اقترب غاي منها ببطء وضمها إليه برقة لم تكن تتوقعها فشعرت وكأن شحنة كهربائية قد سرت في أوصالها وهذا ما جعلها تطلق صرخة.

ارتد غاي فوراً وعلامات الاستفهام ونفاد الصبر ظاهرة على وجهه حتى كادت تشك أنه ضمها إليه.

- يجب أن تسرعي. يا إلهي، كل النساء يتلكأن.

وضع المنشفة التي كان يستعملها لتجفيف شعرها على كتفيها بعنف، ولاحظت أن نبرة صوته لا تنم عن السرور.

التقط فرشاة وأخذ يمشط الشعر الكثيف الأشعث وبدا أن تأوهات الألم التي تطلقها تجلب له نوعاً من الرضى.

لكنه استمر في ترتيب شعرها بطريقة قاسية وكأنه أدرك ما يدور في رأسها من أفكار مضطربة. حالما انتهى من شعرها جرها من الغرفة وتوقف أمام خزانة ملابسها التي فتحها على مصراعيها ثم التقط فستاناً أبيض ناعماً.

- هيا أعتقد أن هذا الفستان يليق بك.

إن اللون الأبيض هو لونها المفضل ومع ذلك تحدته:

- هل تظن أني ذاهبة إلى صبحية؟

- هذا ما يناسب فتاة شابة في ظروف كهذه لأنه يدل على البراءة والصفاء.

- أنت تدفع بي إلى الشبان.

- بالحلال، لا بشيء آخر.

تحدته مرة أخرى بنبرة ملؤها البؤس والحنق:

- هل كنت ستهتم لو كان الأمر «بشيء آخر» فيصبح أحدهم مجبراً

على الزواج بي.

شحب وجهه بصورة تدعو للاستغراب ولكنه لم يتراجع:

- ليس عليك بالتأكيد أن تتصرفي معهم هكذا.

- هل تظن أني لا أفعل؟

قست عيناه أمام بريق التحدي في عينيها.

- خذي! هلا كففت عن الكلام وارتديت هذا الفستان؟

ترك الفستان بين ذراعيها وارتد بعفوية وفتح جارور بقوة:

- هيا خذي منه ما تحتاجين إليه.

- لا شك أن عندك خبرة بهذه الأمور يا سيدي. هل تقدر لورين هذه الخبرة؟

- لا تثير لورين غضبي بتاتاً.

- ولكنك على علاقة معها.

- يا إلهي!

أدركت جوليا أنها تخطت حدودها كلياً وبدا أن غاي على وشك أن يؤذيها جسدياً فأكملت حديثها:

- حسناً.. أعلم أنكما ستتزوجان.

شعرت بالخوف حقيقة عندما اقترب منها شاداً قبضتيه. تنفست الصعداء عندما توقف ليسحب نفساً عميقاً جعلها ترتجف، وجاء صوته عادياً تقريباً عندما تكلم ببرودة:

- أنت تعرفين أكثر من اللازم يا صغيرتي. والآن هل في نيتك أن تقومي بارتداء ثيابك بنفسك أم تريدين أن أقوم بذلك نيابة عنك؟

شدت بيدها على الفستان وقالت «لا، لا» ثم التقطت الملابس الملقاة على السرير باليد الأخرى، وفيما كانت تدخل إلى غرفة الحمام وهي تعاني الهوان صرخت بوحشية:

- انتصرت هذه المرة يا سيدي ولكنك لن تنتصر دائماً.

عادت من غرفة الحمام بعد خمس دقائق وهي ترفل بالفستان المصنوع من القطن وكان شعرها ينسدل إلى كتفيها بصورته الطبيعية. كان

وجهها خالياً من الماكياج إلا من أحمر شفاه وردي أظهر صفاء بشرتها وتناسق عظامها بصورة تضيء القلب. ولكن جوليا شعرت أن هيئتها باهتة وشاحبة وعلى الرغم من أنها تفضل أن تترك بشرتها من دون ماكياج، فهي تعتقد أن الماكياج في بعض المناسبات ضروري. سألته بوقاحة وهي تتحداه في أن يعترض ثانية:

ـ هل ذلك نافع؟

كان غاي يراقبها عن كثب ولكنه أدار بصره عنها ورأت أن عضلات وجهه مشدودة. اعتقدت أنها أغضبته ثانية وانتظرت بقلق ردة فعله، ولكنه أجاب بأقتضاب:

ـ نعم هذا نافع!

اقتربت منه وهي تحاول أن تكون رابطة الجأش:

ـ سأحاول يا غاي أن أتصرف بطاعة.

ترددت وتسارعت نبضات قلبها وهي تتساءل عما يجب أن تضيف. لا يمكنه أن يتوقع طاعة عمياء، ولكنها قدرت أنها بعد كل معاملته السيئة لها سيكون كرماً زائداً منها أن تلاقيه في منتصف الطريق فكررت:

ـ سأحاول أن أتصرف بصورة حسنة.

أومأ برأسه من دون أن تشير ابتسامته إلى أي شيء. رفع يده ووضعه على شعرها المبلل وتمتم وقد غير موضوع الحديث كلياً.

ـ هذا سيعطينا العذر لسبب تأخرنا، إن شعرك من الكثافة بحيث لا يجف بالطرق العادية بسهولة.

حدقت إلى قميصه المبلل وإلى عضلاته المفتولة متجنبة النظر إلى عينيه. ثم همست متلعثمة:

ـ عندما أقابل ضيوفك.. سأكون مهذبة معهم، ولكن أنا.. حسناً، بصراحة.. ليس لدي خبرة في التعامل مع الرجال، يجب أن تعذرني إذا بدر مني بعض التصرفات الخرقاء.

بدا وكأنه يستمتع بحديثها:

ـ لا تكوني يائسة يا جوليا. إن تصرفت على سجيتك لا أعتقد أن أحداً

سيشكو من ذلك.

نظرت إليه بريبة ثم أذعنت. لا أحد يستطيع بتاتاً معرفة ما يدور في بال غاي.

ـ هل ستنزل إلى صالة العشاء؟

خبا بريق السخرية في عينيه وركز بصره على أسنانها التي تعض بعصبية شفتها السفلى.

ـ طبعاً، ولكن كما أخبرتك لا داعي للذعر. أتريدين مرافقتي الآن؟ إنما عليك أن تنتظري حتى أبدل قميصي.

كان الضيوف قد بدأوا بالتوافد عندما نزلا إلى الصالة وشعرت جوليا أنها وغاي محط الأنظار إذ استدار الجميع وراقبهما وهما ينزلان الدرج الطويل.

كان غاي ممسكاً بذراعها بقبضة محكمة خشية أن تخونها أعصابها في اللحظة الأخيرة فتحاول الفرار. كان الوضع أشبه بسجين وسجان ولكن جوليا أدركت وهي تلمح الغضب الأسود المرتسم على وجه لورين الممتعض أن الوضع قد يكون خلاف ذلك. حاولت التملص من قبضته عندما وصلا إلى أسفل الدرج وكان قلبها يدق بشدة بسبب قربه منها.

لو كانا بمفردهما لضحك على مقاومتها التي لا جدوى منها. عرفها إلى جميع الموجودين قبل أن يفلت ذراعها، وتساءلت باستخفاف لماذا؟

همس لها بلياقة «تصرفي بطريقة حسنة»، ثم تركها تتحدث إلى زوجين كهلين متجاهلاً التوسل الصامت في عينيها.

دهشت جوليا لقدرته على مراقبتها طوال الأمسية مع أنه كان يلعب دور المضيف الراقي لعدد كبير من الناس.

لم يكن العدد كبيراً في الحقيقة، اثني عشر ضيفاً تقريباً. ولكنها اعتادت على العائلة الصغيرة وبدا لها هذا المساء رغم سعة المكان أن الصالات والشرفات مكتظة بالناس.

لم تجد بين المدعوين من هم في مثل عمرها إلا أربعة شابين وفتاتين. أما الشابان فهما أكبر منها ببضع سنوات كان أحدهما ابن زوجين

رائعين يمتلكان كروم عنب تبعد عن مزرعة غاي خمسة وسبعين كلم ولكن الشاب الثاني، بيار بوتان الذي لاحقها بجرأة فلم تستطع جوليا أن تكوّن فكرة عنه. كان لطيفاً، مدعياً نوعاً ما مثل والديه ووجدت أن إشاراته الدائمة إلى ثروة والده مزعجة قليلاً.

ـ في أحد الأيام يا آنسة ستؤول لي كل ممتلكات والدي.

ـ هذا جيد.

لم تعرف جوليا ما الذي قد تقوله أكثر من ذلك. كان بيار بوتان أشبه بأحجية ولم تعتقد أنه مثال الشاب الفرنسي لأنه بدا أكثر رزانة من غيره، لا شك أنه كان محترماً ويتصرف بلباقة ولكنها شعرت بصورة ما أن من الصعب أن تعجب به، أما أن تحبه فأشبه بالمستحيل.

لم يكن غاي بعيداً عنها وكانت تعي أنه يراقبها بنظراته حتى وهو يتكلم مع الضيوف الآخرين، وقد لاحظت بشيء من التمرد أنهم لا يبدون مملين مثل بيار.

نظرت أم بيار، التي أخذ منها بيار ملامحه إلى جوليا بريبة ولكن بالطريقة ذاتها التي رمقت بها الفتيات الأخريات اللواتي تقربن من ابنها. وقد تعجبت عندما أخبرها غاي في اليوم التالي أن مدام بوتان أعجبت بها.

ـ لا تنسي أنها دعتك لشرب الشاي عندها!

أدارت جوليا له وجهها الصافي والخالي من العيوب:

ـ ألا تدعني وشأني؟ على أي حال لقد قبلت دعوتها.

ـ فقط عندما تجبرين على ذلك.

هل كان عليه أن يذكرها بيده التي تشد على ظهرها؟ ألم يأخذ على عاتقه أن يؤكد للسيدة بوتان أن جوليا تقبل دعوتها بسرور؟ كانت تنظر إليه بامتعاض ودهشة لا جدوى منهما. فتقابلت نظراتهما، في عيني غاي تصميم وإصرار عنيد وفي عينيها ذهول غريب. زال عن فكرها في ثوان معدودة كل أثر للآخرين عندما ذهبوا ولكن الأمر الوحيد الذي تسجل في عقلها كان شيئاً غامضاً لا تفسير له يتنقل ما بينها وبين غاي.

أجابته فيما كان وجهها يصطبغ بالألوان بسبب ما كان يجري في

رأسها من أفكار.

ـ أنا لست من دون عزيمة بالكامل.

ـ كنت تحتاجين إلى من يشد من عزمك.

رفعت نظرها من ذلك الذقن ذي الالتواء العميق إلى الوجه الجذاب القاسي فطارت صورة بيار بوتان من مخيلتها. كادت تهمّ بالحديث ولكن غاي وضع اصبعه على شفتيها بلطف وكأنه توقع الاعتراضات التي ستنطق بها، وشعرت برعشة تسري في عروقها من جراء لمسته.

خلصها نعيق غراب أجش من السحر الذي كانت واقعة تحت تأثيره. أرجعت رأسها إلى الوراء فهوت يد غاي وتكلمت وكأنها تبذل جهداً لذلك.

ـ أنا.. أنا، في الحقيقة لا أريد أن ألبي دعوتها.

راقبته وهو يضع يديه في جيبي سرواله ووجهه يبدو عليه تصميم شرس أطاح بكل تعابير الرقة عن وجهه فأردفت يائسة:

ـ كيف أستطيع الوصول إلى منزلهم؟

ـ سأقلك بالسيارة.

ـ أنت ستقلني؟

ـ نعم، ألم تدركي يا صغيرتي مقدار عزمي على مساعدتك خاصة عندما لا تعانديني؟

لم تصدق جوليا أنه سيقلها بسيارته ولكن عندما حان وقت الدعوة أخذها، وكذلك لم تتوقع أن تكون زيارتها سلسة ولكنها كانت كذلك. كان بيت عائلة بوتان غنياً بالتحف النفيسة وكثيراً منها لم يكن ليقدر بثمن.

قامت بزيارة ثانية بعدما زارها بيار عدة مرات، ذهبت بمفردها وهي تقود سيارة صغيرة وضعها غاي تحت تصرفها. شعرت أن علاقتها ببيار لن تؤدي إلى نتيجة، وكانت أحياناً تضحك من الأمر عندما تأوي إلى غرفتها وأحياناً أخرى تكاد تبكي. وشكت في أن بيار سيتأخر في طلب يدها للزواج. كان يتكلم باستمرار عن ممتلكاته وعن توقعاته وهو أمر سيقود بالنتيجة إلى طلب يدها.

لم تعر خالتها مافيز اهتماماً كبيراً بتعلق بيار المتزايد بابنة أختها. لم تسمح لنفسها بالتعليق على أي شيء إلا عندما تساءلت جوليا عن السبب الذي جعل بيار لا يتزوج حتى الآن، فأجابتها بأنه ارتبط بفتاة توفيت ومنذ ذاك الحين لم يجد والداه فتاة يرضيان بها.

لم تتطرق جوليا إلى الحديث عن خطية بيار السابقة لأنه لم يأت على ذكرها. لم تشعر بالفضول أو الغيرة وكان ذلك برهاناً على عدم وقوعها في حبه.

كانت أم بيار بانتظارها عندما وصلت ولكن بيار لم يكن موجوداً. أخبرتها أن ابنها لن يتأخر بطريقة أوحت بأهمية الأمر. لقد حدث طارىء في العمل استدعى حضوره. أظهرت مدام بوتان في هذا اللقاء الثالث المزيد من الاهتمام بجوليا. أخذت تطريها بصورة ظاهرة وسمحت لجوليا بعدما تناولا القهوة برؤية مجموعتها الرائعة من تحف البورسالان والزجاج الأثرية.

سألتها مدام بوتان عما إذا كان غاي قد سمح لها بمشاهدة مجموعته وعندما أجابتها جوليا بالنفي استطردت:

ـ كانت أمه، زوجة إيف الأولى من جيلي وقد تركت له مجموعة كبيرة من التحف الجميلة. ثمة لوحة رأيتها بلا ريب أنا على استعداد لدفع الكثير من أجل امتلاكها.

قال لها بيار فيما بعد:

ـ يبدو أن أمي معجبة بك.

سألته جوليا ببرود:

ـ ما الذي يجعلك تعتقد ذلك؟

تعجب قليلاً من نبرتها اللامبالية:

ـ لأنها لا تسمح لأي فتاة برؤية كنوزها.

شكت جوليا في أن مدام بوتان قد استغلت الفرصة لتطرح عليها بعض الأسئلة التي تتعلق بوالديها. كان تحقيقاً صلباً أكثر منه تعاطفاً ولذلك أجابت بأقتضاب ولم تعطها إلا القليل.

لم تذكر شيئاً من هذا لبيار وعوضاً عن ذلك تمتمت: لقد فهمت.

اكتشفت سريعاً أن بيار كان مملاً ومدعياً وهو كأمه يفتقد إلى روح المرح. أدركت جوليا أنها لن تستطيع أبداً الزواج من رجل غير قادر على السخرية من نفسه من وقت إلى آخر.

لم تكن ترى غاي كثيراً في هذه الأيام ربما لأنها كانت تبذل ما في وسعها لتتجنبه ولكن عندما يغيب لوقت ما لدواعي العمل كانت تفتقده بشدة.

حيرها الأمر خاصة لأنها ما تزال حانقة عليه بسبب الطريقة التي استخدمها لتبدل فستانها ليلة حفل العشاء وظنت أن غيابه سيبلسم جراحها. ولكنها على العكس شعرت أن فترة غيابه أشبه بسنوات طوال ولم تجرؤ على تحري مشاعرها، ولتعوض ذلك راحت تشغل نفسها بنشاطات كثيرة مع الولدين وركزت على التدرب على ركوب الخيل والتعرف إلى العمل أكثر.

لم يقم غاي في الحقيقة بدفع صداقتها مع بيار إلى الأمام ولكنه أبدى موافقته عليها، ومع أنه لاحظ أنها ترفض الخروج مع بيار بمفردهما إلا أنه لم يعقب على ذلك. أما هي فاستمرت بقبول الدعوات. اعترفت لنفسها أنها لن تتردد إذا دعاها غاي إلى أي مكان وقد أتتها هذه الفكرة وهي تراقبه ذات مساء يرافق لورين المتأبطة ذراعه حول الحديقة. كانت لورين تشع وتبدو عليها مع مرور الأيام علامات الانتصار. واعتبرت جوليا الأمر مسألة وقت قبل أن يعلن غاي عن شيء هام وأدركت أنه لن يكون بأستطاعتها البقاء في فرنسا إذا حدث ذلك.

رفضت ثانية أن تواجه السبب الذي يجعلها تحس بأنها مهشمة عندما تفكر بلورين زوجة لغاي ولكن الضغط النفسي الذي راح ينمو بداخلها بانتظار إعلان الخطبة بدأ يؤثر في شهيتها ويشحب لونها.

دعاها غاي إلى مكتبه ذات ليلة بعد العشاء حيث أشار إليها بالجلوس وقال لها بصراحة:

ـ أنت تفقدين من وزنك ثانية.

لم ترغب جوليا في الجلوس لأن ذلك بدا إشارة إلى جلسة طويلة معه، الأمر الذي حاولت تجنبه ولكن عندما حدق إليها بتلك النظرة القاسية لم تجرؤ على معاندته.

- قد يكون سبب ذلك الحب يا سيدي.

دهشت عندما سمعت نفسها تقول ذلك مع أنها أدركت بصورة مفاجئة وبيأس أنها لم تنطق إلا بالحقيقة ولم تستطع أن توضح أن بيار ليس الشخص الذي تحبه مع أنه الاستنتاج الذي سيصل إليه غاي.

وهذا ما فعله وبدا عليه الذهول إنما ليس كما توقعت. فتحت عينيها على وسعهما بسبب الصمت الذي ران بعد ذلك ودهشت عندما رأت كيف شحب لونه. أإلى هذا الحد يشعر بالراحة؟

سألها بلطف من دون أن تظهر أي تعابير على وجهه وكأنه أدرك فجأة أنها تحدق إليه:

- هل أنت متأكدة أنك واقعة في الحب؟

جاء جوابها أجوف وهي تتمنى لو كان باستطاعتها الإنكار.

- أعتقد ذلك.

علق على إجابتها من دون نبرة وكان الشحوب ما يزال بادياً عليه.

- عواطف الفتاة الشابة لا تكون مستقرة أبداً.

دفعها شيء ما فيه إلى قول:

- وإذا كنت أعتقد أن عواطفي مستقرة؟

سحب نفساً عميقاً وكأنه تنهيدة يأس:

- إن بيار شاب يملك زمام نفسه وإذا كنت تشعرين بالاهتمام به فلا أعتقد أن باستطاعتك الحصول على أفضل من ذلك.

حقاً! شحن قوله قلبها بالغضب، ما هي الفكرة التي كونها غاي عنها ليحكم أن شخصاً مثل بيار يشرفها بأن تحمل اسمه؟

صرخت «إنه مدع». خانها لسانها بقسوة وهي التي كانت عازمة على إزعاجه بأدعاء الوقوع في غرام بيار. لاحظت الآن عدم جدوى هذا الأسلوب. كيف استطاعت ولو بطريقة غير واعية أن تفترض أنها تستطيع

إزعاج غاي وكأنه حبيب غيور؟ لن يكون حبيبها أبداً.

عبس فمن الواضح أنه كان يفكر، لذا اختلط عليه الأمر كثيراً.

- هل تقولين إن بيار مدع؟

- وأمه كذلك!

صرفها الغضب على غير هدى وراحت عيناها الرماديتان تبرقان بعناد غبي في وجه غاي.

- بيتهم مليء بتحف سخيفة من الأفضل التبرع بها للأعمال الخيرية، فهناك يخاف الشخص من التنفس خشية تحطيم أي شيء، وتلمح مدام بوتان إلى أنه يجب النظر إلى السجاد عوض المشي عليها، و..

- كفى يا جوليا.

انطلق صوت غاي كضربة سوط فاندفع اللون الأحمر إلى وجنتيها بوحشية.

- إن مجموعة مدام بوتان مشهورة وليست شيئاً يهزأ بها.

- لم أكن أهزأ به.

- هذا الانطباع الذي أخذته.

- آه، اللعنة على انطباعاتك.

صرخ بها «جوليا» وفي هذه المرة لم يخف غضبه، بل وثب شرر أسود من عينيه الزرقاوين وقست خطوط فمه بصورة رائعة.

شحب وجه جوليا حتى أصبح أبيض اللون. من النادر أن تستعمل مثل هذه الكلمات أو مثل هذه النبرة. لم تكن ردة فعلها عليه تماثل ردة فعلها مع أي شخص آخر. ولكن كيف لها أن تخبره بما في قلبها؟ تمتمت: أنا آسفة.

ترك مقعده وأمسك بها من كتفيها وجرها نحوه وبدا أنه قادر على أن يزهق روحها.

- الأمر الوحيد الذي لا أتحمله هو الإهانة!

- لم يكن ذلك بسبب ما قلته فقط ولكن بسبب النظرة في عينيك.

بدأت يداه تؤلمان كتفيها. تلعثمت:

ـ ليس الأمر بيدي إن لم أحب بيت بيار.

ـ إذا كنت تحبينه يجب أن تحاولي. تذكري أنه قد يكون الرجل الذي تتزوجينه في فرنسا، لذا عليك أن تتعلمي كيف تحتملين أقاربه.

ردت عليه بحدة: «لن تتحمل لورين أقاربك. خذني أنا على سبيل المثال... إنها تكرهني».

ـ أنت لست فعلياً من الأقرباء.

خرج منها صوت أشبه بالنحيب ثم طأطأت رأسها:

ـ لا.. لست فعلياً أي شيء. أليس كذلك؟

تصلبت ملامحه ولكن وجهه بدا ساخراً:

ـ أنت مجنونة، مراهقة مضطربة ذات مخيلة واسعة، ستصبحين يوماً ذات أهمية. نحن جميعاً نحبك.

كادت جوليا تنطق «ما ألطف ذلك»! ولكنها لمّا رفعت بصرها ورأت نظراته المحدقة إليها بإصرار تجمدت الكلمات في حلقها.

تمتمت عن غير وعي أنها تفشي سرها:

ـ إن المسألة ليست بيت بيار فقط. أنا معجبة بك أكثر بكثير مما أنا معجبة ببيار.

أجابها بصوت خافت:

ـ ولكنك أخبرتني بأنك واقعة في حبه!

عضت جوليا على شفتيها لتوقف ارتجافها. إن لم تتبه سيجعلها في ثانية تعترف باسم الشخص الذي تحبه حقيقةً.

ـ لقد أخطأت.

ـ أخطأت؟

حاولت ألا تعير امتعاضه اهتماماً ولكنها شعرت أنها حوصرت:

ـ ما أعني.. حسناً، قلت لك إني غير متأكدة. ألم تكن عندك شكوك بالنسبة لأي أمر أبداً، خاصة في مسألة وقوعك في الحب؟

قال صارخاً: لا، فأنا لا أؤمن بالحب.

شحب وجهها ثانية:

ـ أوه، هل سيكون زواجك عندما يحدث مجرد ترتيب عملي؟

ـ هذا ممكن، ولكن الزواج أمر مختلف عن الأعمال. ولا يحتاج الشخص للوقوع في الحب ليتزوج.

طحن البؤس قلب جوليا وهي تبوح بأسرارها.

ـ كيف لي أن أعرف ذلك؟ أعتقد أنه من الأفضل لي أن أتعلق ببيار إذا كان يريدني. لا شك أنه ينتمي للفريق ذاته الذي أنا منه.

ـ نعم ألن تكملي؟

ـ على الأقل بيار لطيف وهو ليس مثلك. لم يحاول خداعي، لم يحاول حتى أن يعانقني..

لم تعطِ الفرصة لبيار ولكن غاي لا يعرف ذلك.

قلص الغضب عضلات فم غاي. أرخى إحدى قبضتيه عن كتفيها ليمسك بوجهها ويديره نحوه. عانقها وشعرت بالغضب وراء هذا العناق وكأنه مصمم على رد الإهانة بمثلها. شعرت للحظة بالألم إذ كان يعتصرها بين ذراعيه، ولما حاولت التملص غريزياً منه والابتعاد شدد قبضته عليها.

حاولت أن تغلق عقلها عن شعورها بقوته الطاغية. وجدت نفسها رغم عناقه غير الرقيق تنحدر إلى التجاوب معه وأحست أنها خرجت من الزمان والمكان ولم تعد تفكر إلا في ذراعيه اللتين تطوقانها.

كانت مدركة لمشاعرها العميقة التي تماثل ما أحست به قبلاً عندما عانقها في الشاحنة. ثم بالسرعة التي أمسك بها، دفعها بعيداً عنه.

فتحت عينيها عندما أحست بابتعاد ذراعيه عنها فوجدت أن هنالك مسافة تفصلهما ولكن الجو المشحون بينهما لم يختفِ. وضعت أطراف أصابعها على وجهها وهمست:

ـ لقد آلمتني.

انتصبت كتفاه العريضتان وتشنجت عضلات فمه:

ـ أعترف أن لديك ما تشتكين منه الآن ولكني عادة لا أعانق الفتيات اللواتن هن في مثل عمرك إلا إذا أثرن غضبي. ومن الأفضل لك أن تتذكري ذلك.

- هذا عذر . . . !

- اضبطي لسانك يا آنسة. أعتقد أني أخبرتك قبلاً بأنني لا أبحث أبداً عن عذر لأبرر تصرفاتي. عندما تثير فتاة غضب الرجل فإنه على الأرجح أمام حالتين إما ضربها وإما معانقتها.

- لقد استعملت الطريقتين.

ومضت عيناه ببرودة:

- إذاً عليك أن تقرري أي عقاب تفضلين أنت وفي المرة القادمة وضحي ما هو العقاب المفضل عندك.

إذا كان في نيته أن يصدمها قليلاً فقد نجح كلياً في مسعاه. ومع ذلك كانت تدرك بألم بأنها لو عرفت أنه سيعانقها إن أثارت غضبه ثانية لفعلت.

ردت عليه بحدة:

- لقد كنت متوحشاً، وأنا متأكدة أني لا أثير غضباً كثيراً ولا أفعل ذلك عن قصد بتاتاً.

ظهر الضجر عليه:

- ربما أنت على حق وربما خرجت المسألة عن حدودها. أعتقد يا جوليا أن عليك التروي بالنسبة لمسألة بيار ولا داعي للعجلة. أنا لا أود أن أشعرك بأننا نريد التخلص منك فوراً.

* * *

٤ - كيف تسدد ديونها؟

جلبت الأيام القليلة التالية مشاكل بسيطة للعائلة. وحولت جوليا تفكيرها وقتاً قصيراً عن مشاكلها الخاصة. أصيبت ابنة خالتها فايمي التي كانت حاملاً مرة أخرى بوعكة صحية بعد عودتها من المانيا، ولم يكن باستطاعتها المجيء لاصطحاب توأميها. كان على الولدين البقاء عند جدتهما لأن الطبيب أمر أمهما بالراحة التامة وقد جاء زوج فايمي ليخبرهم شخصياً بهذا لأن نقل الخبر إليهم عبر الهاتف سيزعج مافيز كثيراً.

كان ليون باكيت رجلاً لطيفاً ومتقدماً في العمر، وكانت جوليا تتصوره أصغر سناً.

- لم نكن نظن أن ذلك سيحدث بتاتاً. أملنا لسنوات أن نحظى بولد آخر وكنا مسرورين عندما تحققت أخيراً أمنيتنا.

كان أسعد حالاً عندما غادرهم خاصة بعد أن أكدت له لورين أنها باقية مع التوأم للاعتناء بهما كما كانت تفعل من قبل. وجدت جوليا صعوبة في منع نفسها من إخباره عن الشخص الذي يعتني بهما في الواقع. ولكن غرور لورين كان يجعل الشرر الأحمر يتطاير من عينيها.

فكرت بحزن في عصر يوم وهي تجول حول البيت مع الولدين أن الجميع يرى الأمور بمنظار لورين. كانت خالتها مافيز تريد الاطمئنان على تحسن صحة ابنتها التي تخضع لعلاج جديد، وبما أنها لا تستطيع السفر تبدو ممتنة عندما تعرض عليها لورين الذهاب مكانها إذا كان بإمكان غاي أن يقلّها بسيارته.

حسدتها جوليا على الأوقات التي تمضيها. كانت الرحلة تستغرق النهار بطوله وفي كل مرة يعودان فيها يبدو على لورين علامات الرضى الكامل.

كان يوم أمس أحد الأيام التي قاما بها بزيارة فايمي، وكانت لورين اليوم مستريحة في غرفتها بسبب الصداع. هبت عاصفة مفاجئة فاضطرت جوليا والولدين للدخول إلى البيت. كانت مافيز قد ذكرت أن بيار وأمه آتيان لتناول الشاي، ولم تكن تتوق إلى استقبالهما. لو كان الطقس جميلاً لبقيت في الخارج وادّعت أنها نسيت هذه الزيارة حتى بغادرا. إن بيار أكثر ما يكون مضجراً عندما تكون أمه حاضرة إذ يشعر أن من واجبه استشارتها قبل أن يتحرك أو يتكلم.

استغل الولدان حقيقة تركيز جوليا اهتمامها على أمور أخرى واقتاداها إلى أحد الصالونات التي تستعمل قليلاً. كانا يعرفان أنه ليس من المفترض بهما دخوله ولكنهما كانا يحبان الاستكشاف خاصة عندما لا يرفض الكبار الذين برفقتهما ذلك. كانت الغرفة مريحة فيها كراسي وأرائك يعود طرازها إلى عصر قديم، وكانت الأرض القاسية والملمعة مفروشة بسجادة واحدة. وكان هناك إلى جوار الجدران خزائن من زجاج تحتوي على قطع زينة قيمة مصنوعة من الزجاج والبورسلين. تذكرت جوليا أن مافيز أشارت إلى أن هذه الغرفة كانت في ما مضى الصالون المفضل لدى أم غاي ولهذا تركت على حالها منذ وفاتها.

ترددت كثيراً في دخول الغرفة لأنها لم تأخذ الإذن من غاي، ومع أن مافيز أكدت لها أن باستطاعتها الدخول لإلقاء نظرة شاملة عليها شعرت بأنها ستكون متطفلة إن لم تأخذ إذنه.

انزعجت الآن من نفسها لأنها لم تلاحظ إلى أين كان يقودها الولدان ولكن بقاءهما في الغرفة هو غلطة منها لأنها لم تملك القسوة لجرهما إلى خارجها فوراً. كانا ينظران إلى الأشياء ولا يلمسانها. . وكانت تحذرهما وتطلب منهما أن يحسنا التصرف. كانت تريد أن تدعهما في الغرفة بضع دقائق أخرى، عندما لفتت انتباهها لوحة فنية من القرن التاسع عشر من

رسم جان سازان، وحرك شيء ما فيها مخيلتها.

كانت مأخوذة كثيراً لذا انتفضت مذعورة عندما سمعت باب إحدى الخزائن يفتح وصوت فورتش يعلو مستوضحاً:

- أوه! هذه قطعة خالي غاي المفضلة!

كانت جوليا تعتقد أن الخزائن مقفلة وقد تجمدت من شدة الهول وهي تشاهد فورتش يأخذ بيده آنية أزهار مرسوم عليها باليد أشكال جميلة ويكاد يلوح بها. انزلقت من يده قبل أن تستطيع الكلام أو الوصول إليه فتهشمت أي تهشم.

صرخت بصوت مرتفع فهرب الولدان إلى طرف الغرفة الآخر:

- أوه يا فورتش، ماذا سأفعل الآن؟

جثت على ركبتيها وبدأت تلتقط القطع المبعثرة. فليكن الله في عونهما إن كانت هذه الآنية من الأشياء التي يحبها غاي بصورة خاصة!

وكأن تفكيرها فيه كان سبباً لتجسيد شخصه إذ أتاها صوته منادياً من عند الباب «جوليا؟» فذعرت ثانية.

كان بيار وأمه واقفين قربه بمحاذاة الباب المزدوج الكبير فشعرت أن وضعها أسوأ مما لو كانت في مواجهة فرقة عسكرية من العدو. صرخ فيما كانت تحاول من دون جدوى إخفاء قطع الآنية:

- ما الذي يحدث هنا بحق الله؟

- أنا. . .

همّت بالكلام ولكنه قاطعها بقسوة عندما اقترب منها وشاهد بوضوح ما حدث:

- يا إلهي! هل لديك فكرة عن قيمة هذه القطعة؟

رمت جوليا نظرة ملؤها الرعب إلى الولدين اللذين يرتعدان بوضوح. رأت الخوف الحقيقي في أعينهما، إذا علم غاي من هو في الحقيقة المسؤول عن تحطيم الآنية لعاقبه بشراسة، لهذا لا تستطيع أن تفضح الولدين. همست:

- أنا آسفة.

حدقت إلى الآنية المحطمة وهي تدرك عدم إمكانية أن تعرض التعويض فلا مال عندها ولا عمل. وكل ما عليها أن تفعله هو ادعاء الندم جداً وليس عليها أن تجهد كثيراً في الادعاء، لأنها تشعر فعلاً بالندم الشديد على هذه القطعة الجميلة التي تحطمت. وهي نوعاً ما مسؤولة عن ذلك.. إذ كان عليها بدل البكاء والأسى على نفسها أن تراقب ما يفعله الولدان بل كان عليها ألا تسمح لهما بالدخول إلى الغرفة.

كان غاي ينظر إليها بعينين مليئتين بالشرر، ولكنه كان ينظر إلى وجهها الشاحب لا إلى الآنية المحطمة. كسرت مدام بوتان حاجز الصمت بعد اعتذار جوليا المتقطع.

- هذا إهمال وغباء! لو كانت هذه الفتاة أقلّ شأناً لنصحتك بطردها فوراً.

ظهر على بيار الذهول وجاء كلامه صدى لما قالته أمه بصورة لا تصدق.

- ماما، قلة من الفتيات الفرنسيات عندهن عدم الحس بالمسؤولية.

نقلت نظرتها المرعوبة من ابنها إلى جوليا.

- تخيلها وهي تجول بين تحفي الثمينة.

أومأ بيار رأسه يوافقها الرأي وكان من الواضح أنه صدم.

تدخل غاي فجأة وكأنه اكتفى مما سمعه:

- لو سمحت هلا رافقت أمك إلى الصالون الآخر، فأنا سأهتم بهذا الأمر.

لم يكن من السهل إبعاد السيدة بوتان التي تسمّرت في مكانها كضفدع أسود كبير مركزة نظراتها الشريرة على جوليا.

- يجب أن تفهم يا غاي أني لن أجرؤ على السماح لهذه الفتاة بدخول بيتي ثانية. لن أخاطر أبداً.

توسل إليهم غاي بلؤم: من فضلكم.

ردت عليه مدام بوتان بالطريقة ذاتها:

- أنا آسفة يا غاي، وكما تعرف ليس من عادتي أبداً إهانة أحد

ضيوفك، ولكن هذا الوضع غير عادي وأشعر بالانزعاج الشديد، لقد قلت ما عندي ولا أستطيع البقاء لتناول الشاي. أرجو أن تقدم اعتذاري إلى خالتك زوجة أبيك العزيزة. تعال يا بيار.

شعرت جوليا بالرجفة عندما اختفت مدام بوتان عن ناظريهما أما بيار فلحق بأمه كجرو مطيع.

تنهد غاي تنهيدة عميقة ولحق بهما ثم عاد بعد خمس دقائق كانت خلالها قد أرسلت الولدين بعيداً وكانت ما تزال جاثية على ركبتيها تلملم البقايا.

- اتركي ذلك واذهبي إلى غرفتك.

كان ما يزال غاضباً مع أنه بدا متمالكاً نفسه، لكنها رفضت أن تصرف مثل ولد شقي.

قالت بعصبية: «هل ذهبا حقاً؟»

- ما الذي تتوقعينه؟

ابتلعت ريقها بصعوبة وتابعت التقاط البقايا على غير هدى.

- كنت مستعدة لفعل أي شيء لأمنع حدوث ذلك.

رد عليها بقسوة وتلاقت نظراتها بنظراته الباردة.

- لا أريد سماع المزيد. أفهم أنك لن تقابلي بيار ثانية ولكن عندما تريدين في المرة القادمة التخلص من عريس ما فاستعملي طريقة أقل كلفة.

- هل تعني...

لو ضربها لما شعرت جوليا بانزعاج أكثر من هذا الذي تشعر به! كيف يظن للحظة أنها نذلة إلى هذه الدرجة وقاسية؟ شعرت أنها لن تستطيع أبداً أن تسامح غاي، أبداً!

صرخت به:

- أنت على خطأ.. وقد أهنتني، لم أكن حينئذ أفكر في بيار.

لم يبال غاي بهذا الجدال إذ هز كتفيه مستاءً ونظر إلى القطعة المحطمة وأمرها أن تغرب عن ناظره في الحال. أطاعته وهي تشعر بالألم في قلبها.

شعرت بالبؤس الشديد فلو اهتم قط بدراسة شخصيتها لما حكم عليها بهذه السرعة. لم تستطع أن تنسى كيف نظر إليها ولم تنسَ الامتعاض الكامل في عينيه.

أصبح من الواضح في الأيام التالية أن ليس عند غاي وقت لها إذ تركها في وحدة مؤلمة وأكثر ما كان يؤلمها هو طريقته في تجاهلها.

أصبح الولدان هادئين بصورة غريبة بعد حادثة تحطم الآنية وهذا أمر أثار الانتباه وظنت مافيز أن السبب هو افتقادهما إلى أمهما.

ذكرت مافيز حادثة الآنية على نحو سريع ولم تذكر بيار أو أمه. قالت إنها متأكدة أن الأمر حادثة عرضية وعلى جوليا عدم التفكير فيها كثيراً. أخبرت جوليا بلطف:

ـ لقد وضع غاي قفلاً على باب غرفة التحف.. والآن لا أحد يستطيع أن يتجول فيها. من عادة الخادمات أن ينسين إقفال الخزائن بعد تنظيفها من الغبار، ولكن من الآن فصاعداً ستهتم هورتنس بهذا الأمر.

عادت تصرفات جوليا تقريباً إلى طبيعتها في النهاية ولكن نوعاً من البرود استمر ووجدت جوليا أن من الصعب عليها تحمل هذا. افتقدت وقوفه معها ليحدثها كما كان يفعل في أكثر الأحيان حتى عندما يكون مشغلاً كثيراً.

دهشت عندما لحق بها باحثاً عنها صباح يوم في الاسطبلات حيث كانت بمفردها تعتني بأحد الخيول.

توقف غاي قربها ثم راح يخبرها بأن بيار وأمه سافرا إلى مقاطعة بريتاني لزيارة أصدقائهما ومن ثم سيسافران إلى باريس.

انتقلت نظراته من الحصان إلى وجهها وأدركت جوليا بغريزتها أنه أتى على ذكرهما عامداً متعمداً كي يراقب ردة فعلها. ما المفترض أن تكون ردة فعلها؟ أرادت بصورة مفاجئة أن ترضيه بأي شكل كان، ولو كان ذلك في سبيل إعادة الأمور بينهما إلى سابق عهدها فقط.

استعلمت بحذر: أتمنى أن يمضوا وقتاً طيباً.

لم تقل على ما يبدو الشيء المناسب لأنه عبس وقال:

ـ هل وراء هذه الملاحظة قصد معين؟

هزت جوليا رأسها نفياً وحاولت أخذ جانب الحذر عندما شاهدت انقباض وجهه وهمست:

ـ هل يجب أن تكون كذلك؟

تنهد هذه المرة معبراً عن نفاد صبره.

ـ ظننت أنك بدأت تحبين بيار على الرغم من تصرفات أمه ولكن يبدو أن قلبك من حجر.

ـ في عمري هذا؟

ـ وهذا ما لا أفهمه، لا شيء يعيب قلبك، أنت فتاة شابة طبيعية وظننت أن قلبك قد تحطم عندما هجرك بيار بهذه السهولة.

أجابه جوليا بغضب:

ـ أنت متعجرف مثله، من أنت لتحكم عليّ؟ لم أقع في حب بيار إذا كان هذا ما ترمي إليه، ولم أسمح له قط بمعانقتي.

بدا أن عضلات وجه غاي استرخت ولكن الشرر ما زال يتطاير من عينيه:

ـ أطلقي عليّ من النعوت ما شئت ولكن لا تنعتيني بالمتعجرف.

لم يكن ذلك عدلاً ولكنها أخذته على حين غفلة وهو أمر لم تظنه ممكناً. قالت له إنها آسفة وإنها لا تعني ذلك. رد إليها الإساءة بأشر منها:

ـ لو سمحت لبيار بمغازلتك وشجعته عوضاً عن تجاهله لاكتشفت وسيلة للتجاوب معه، فأنا مثلاً تلقيت منك التجاوب عندما كنت أقوم بعناقك.

لا أحد يستطيع أن يناقش أمراً كهذا بمثل هذه البرودة! ولكن إذا كانت قواعد النقاش بدون حدود،فالأحرى أن تلعب بالطريقة ذاتها!

ـ ربما اخترت أنت أن تفعل ذلك وأنا في غفلة من أمري يا سيد، فأنا عادة لا أتجاوب مع شخص مثلك. في المرة القادمة ـ إذا كان هناك من مرة قادمة ـ يجب أن تحذرني وبعدئذ ستجدني مستعدة لمواجهتك.

بدا من الاحمرار الذي اعترى وجهه ومن صوته الأجش أنه يستمتع

ساخراً بفورة غضبها.

- هل تعنين أن لديك وسائل دفاع ستستعملينها؟

ابتلعت جوليا لعابها بصعوبة وراحت تنظر إلى أرض الأسطبل. لماذا اتخذت المحادثة هذا المنحنى؟ إنها خطرة. كان غاي منتظراً كما ينتظر القط الفأر لينقض عليه. أدركت أنها بموافقتها على مجرى الحديث كانت ترمي بنفسها بين يديه، ولكن ما البديل عندها؟

أجابته بتحد: نعم.

فيما كان بريق عينيه يزداد عمقاً وضع يديه على كتفيها وثبتها على الجدار الأبيض اللون، وكانا في ظل الاسطبل وكأنهما بمفردهما في العالم كله.

- إذن هل نحاول القيام بتجربة صغيرة؟

صاحت به «لا» وأخذت تعي أنها ترتعد.

لقد كان ذلك غباء منها فهو يستطيع السيطرة عليها في ثوان معدودة. يعرف كلاهما ذلك ولكنها لم تعترف بالحقيقة. همست بصوت أجش وفي عينيها توسل:

- أرجوك غاي لا موجب لتبرهن لي أي أمر. إن أمهلتني بعض الوقت فأنا متأكدة بأني سألتقي برجل آخر وستتطور مشاعري بصورة طبيعية، وعندئذ تتخلص من مسؤوليتي.

- ليس عندي هذا الوقت...

رفت عيناها وهي غير متأكدة مما سمعته، فإن كان صحيحاً ما سمعته فكيف تتصرف إزاءه؟ اغتنمت فرصة توقفه ليلتقط أنفاسه التي سحبها بقوة فأردفت:

- لن أبقى هنا أطول مما يفترض بي.

- ليس هذا ما نحاول أن نبرهنه.

طوقها بذراعيه فشعرت أنه يسخر منها في أعماقه. وفيما كانت تذعن له أدركت بيأس أنه يبرهن لها مدى سيطرته عليها المرة تلو المرة. بدت وكأن كل احتجاجاتها قد تحشرجت في حلقها وعندما حاولت التملص منه

رفض السماح لها بذلك. كانت دقات قلبها أشبه بالصراخ وهو يشدّ أكثر فأكثر عليها.

هذا كثير! كاد عقلها يفقد السيطرة على جسمها الذي وهن في مواجهته فعقدت ذراعيها حول عنقه لأنها فقدت كل قدرة على متابعة الصراع.

كانت تشعر بغريزتها أنه هنا في عتمة الأسطبلات يميل إلى جعلها تعاني الهوان. شعرت بقسوة عضلاته وكأنها تحذرها من أمور لم تكن مدركة لها. عندما تململت باحتجاج صامت أمرها غاي بصرامة أن تهدأ.

لم تستطع أن تصدق أنه غير قادر على السيطرة على الموقف. تمتمت:

- أرجوك، هلا توقفت؟

اخترق صوته طبلة أذنها وهو يؤنبها.

- أنت مدينة لي. لقد غزوت منزلي، وسلبت راحة بالي وحطمت ممتلكاتي. ألم تسمعي قطّ بدفع التعويض؟

- ليس من هذا النوع.

- هل تستطيعين التفكير في طريقة أخرى لتسددي ديونك؟

ردت عليه بشراسة: «نعم».

ضاقت حدقتا عينيه ورمقها لبرهة قبل أن يفلتها ويقول ساخراً:

- على الأقل لن تتوقي للجدال معي ثانية.

كرهته فهي غير قادرة على التظاهر بعدم فهمه. وضعت يديها خلفها واستندت إلى الجدار لأنها كانت خائفة ألا تحملها ساقيها المرتجفتين.

ارتدّ مبتعداً وقال لها:

- سألاقيك ساعة الغداء.

أدركت جوليا باستياء أن عينيها كانتا تحومان عليه باستمرار عند تناول طعام الغداء. كانت نظراتها تتحول باستمرار إليه فيما كان يتكلم مع لورين ومافيز. كان قد استحم وبدل ملابسه وفيما كانت ترفع كأس المرطبات إلى فمها تلاقت عيناهما بثبات ومع أنها لم تقرأ شيئاً في عينيه

الداكتين ارتجفت عندما تساءلت إذا استطاع أن يقرأ ما في عينيها. عندما كانت تحاول صبّ اهتمامها على التصاميم المرسومة على صحنها عوضاً عن التحديق إلى وجهه القاسي والوسيم لاحظت أن الولدين يتشاجران على لعبة ما. كان فورتش وهو الأقوى بين الولدين ينكر بقوة أنه كسر شيئاً. فجأة تجمدت لأنها سمعت فيتز يصر بعناد.

ـ أنت الذي كسرتها كما كسرت آنية خالي غاي ووضعت اللوم على جوليا.

ران ذلك النوع من الصمت القصير غير المفهوم على الجميع. قالت جوليا التي ذعرت «فيتز» ولكن الأوان كان قد فات.

كان الأفضل لها أن تمتنع عن قول شيء البتة. عرفت أن اللعبة قد انتهت ورأت نظرة غاي الذي أخذ غضبه يتسارع، تنتقل بسرعة من وجهها المتورد والبائس إلى وجه فورتش المعبر عن الشعور بالذنب.

استغلت لورين الفرصة وكانت من قبل قد اضطرت للاتصال هاتفياً بمدام بوتان بصورة سرية لتعرف منها القصة الكاملة عن تحطم الإناء. كانت قد استغلت بذكاء سقوط جوليا من عليائها ولم يكن عندها رغبة أن تراها بريئة. قاطعت الولدين برقة متظاهرة بالتعاطف مع فورتش الذي انهمرت دموعه فجأة:

ـ أعتقد أن علينا أن ننسى هذه المسألة يا عزيزي غاي، فنحن لا نريد إزعاج الأولاد ومن يعرف على من يقع اللوم في الحقيقة؟

أخرسها غاي بنظرة جعلتها تتجهم.

ـ أرجوك يا لورين.

هبّ على قدميه رافضاً تناول القهوة وتكلم إلى جوليا:

ـ أريد أن أراك في مكتبي بعد انتهائك من تناول الطعام.

لم يسألها بل أمرها لذا لم تجرؤ على عصيانه. رفضت تناول قهوتها أيضاً واندفعت إلى الطابق العلوي لتغسل يديها من العرق وانتظرت بضع دقائق حتى زال شعورها بالإعياء ثم عادت إلى الطابق السفلي لتنضم إليه.

قال لها عندما قرعت أخيراً باب المكتب وسمح لها بالدخول: أريد

معرفة الحقيقة!

تلعثمت بعصبية:

ـ أريد أن أشكرك أولاً لأنك لم تغضب على فورتش.

ذكرها بلطف وكانت عيناه خاليتين من أي تعبير ووجهه شاحب:

ـ أنا خاله، ولكن إن لم أؤنبه فوراً، فهذا لا يعني أنني لن أؤنبه لاحقاً.

أعترف أني وددت لو وضعته فوق ركبتي وأوسعت قفاه ضرباً ولكني تمالكت نفسي حتى أسمع القصة بكاملها.

حدقت إليه وهي ترتجف من البرودة في نبرة صوته، البرودة التي بدت تهديداً لها أكثر منه تهديداً لفورتش.

ألم يكن من الأفضل لو صفع فورتش وانتهى من الأمر؟ لا شك أن الولد الصغير يعاني أكثر مما لو سدد له بضع صفعات على قفاه. كان غاي طويل القامة أسمر جداً، ومتسلطاً جداً. ألم يلاحظ كيف يستطيع بسهولة زرع الخوف في قلوب الأشخاص الذين هم أضعف منه بنظرة خارقة من عينيه القاسيتين؟ شعرت بتسارع نبضات قلبها وكان من الواضح أنه ينتظر منها أن تقول شيئاً. بدأت الكلام وهي تبذل جهداً:

ـ ربما يجب أن نأخذ بنصيحة لورين وننسى الأمر برمته.

ـ جوليا!

ابتلعت لعابها وخارت قواها فجأة.

ـ أوه.. حسناً، إذا كنت تصر.

أجابها بنفاد صبر:

ـ نعم أصر على ذلك!

كانت تعض على شفتها حائرة عندما انتفضت لأنه اقترب منها ليمسكها بوحشية ومرر يده على ذراعها. استرخت قبضته على كتفيها وأصبحت أشبه باللمس. استكشفت أصابعه وجهها الحائر، فسحبت جوليا أنفاسها بشدة وأدركت أن لمسته الرقيقة هي في سبيل إقناعها ولم تجد قوة لتعترض.

تمتم برقة:

ـ هيا! قوليها!

لم يستطع هذا أن يجعلها تتمالك نفسها. همست بتردد:

ـ لقد هرع الولدان إلى الغرفة وعندما أدركت أين هما ـ في غرفة أمك الخاصة ـ رحت أتأمل اللوحات فانشغلت عنهما ولم أطلب منهما الخروج حالاً.

انقبض حاجبا جوليا عندما توقفت عن الكلام لتتنفس وأكمل عنها:

ـ عندما أوقع فورتش الإناء هرعت إليه فهرب مبتعداً عن الحطام. لقد تصرفتما بشكل طبيعي ولكن كان من الخطأ أن تجعليني أعتقد أنك كسرت الإناء عمداً.

تجرأت على النظر إلى عينيه الزرقاوين الملتهبتين:

ـ لا! بل أنت من استنتج ذلك من تلقاء ذلك.

وافقها الرأي:

ـ ربما، ولكن يجب أن تعترفي أن الإثباتات جميعها كانت ضدك وأن استنتاجي كان منطقياً.

ـ بل يجب أن أقول إنه غير منطقي.

لم يبدُ التأثر على غاي. سألها ببرودة: «لماذا؟»

ـ كنت أحاول أن أغطي عن فورتش.

ـ كلا، ليس الأمر هكذا، ليس في الحقيقة. لقد كنت تعرفين تمام المعرفة أنك لو أوضحت الوضع لأنبت أنا الصبي والأمر سينتهي عند هذا الحد ويصبح منسياً. لا، أنا أعتقد يا جوليا أنك انتهازية. لقد لاحت لك فرصة التخلص من بيار ولم تضيعيها. لو كنت تشعرين بأي عاطفة نحو بيار لوجدت وسيلة لإخباره بحقيقة ما حدث.

ـ هل كان سيصدقني؟

ـ كان يمكنك إعطاءه هذه الفرصة.

ـ أنت تمزح يا غاي. ما أسرع ما أسأت الظن بي. تصرفت هكذا لأني لم أعد أهتم...

ضاقت عيناه وهو ينظر إلى عينيها المليئتين بالحنق.

ـ أنت مقتنعة بأني أسأت إليك ولكني لن أقدم اعتذاراً، إذا نظرت إلى قلبك لربما اكتشفت الأسباب الأخرى.

انسدلت أهدابها مثقلة على خديها وتمنت لو كان في استطاعتها إخفاء الاحمرار الذي يغزو بشرتها. لماذا غاي دائماً على حق؟ همست وهي تشعر بالإعياء:

ـ اعتقدت أني فعلت ذلك من أجل فورتش!

ـ إنه هكذا بصورة جزئية. ولكن يجب أن تتريثي وتدرسي دوافعك الداخلية قبل أن تتصرفي باندفاع.

لم تستطع إلا أن تشعر بالهوان والحيرة.

ـ حسناً، ماذا عن أمر فورتش؟

ـ هل تعنين ما الذي أريد أن أفعل به؟ لا شيء.

ـ ألم تقل إنك ستقوم بضربه؟

ـ قلت إني وددت أن أفعل ذلك.

ـ ولكنك لن تفعل.

ابتسم بمرارة وأرخى يديه عن كتفيها:

ـ أعتقد أن مخاوف هذا الشاب كانت أكثر إيلاماً من أي عنف جسماني كنت سأنزله به. أعتقد أنه عانى ما فيه الكفاية.

تلعثمت وهي دهشة من اللين الذي خرج من رجل غير متسامح كثيراً:

ـ أهذا كل ما في الأمر؟

تنهد غاي وكأنه يعاني من قلة فهمها:

ـ إن ابن أختي غير مهمل بطبيعته ولا أحد يتوقع بصورة منطقية أن تكون حياته خالية من الحوادث.

قالت جوليا بينها وبين نفسها: ما أروعه من أب! إنها تحسد المرأة التي ستحمل أولاده، قد يغضبها ويثير حنقها ولكنها تشعر بعاطفة في داخلها وأعماقها تشك في أنها الحب.

ابتسمت في وجهه:

ـ أنا متأكدة أن الولدين سيصبحان أسعد حالاً عندما تتحسن صحة

أختك.

ـ وعندئذ لن يرتكبا الكثير من الهفوات. أنا أوافقك الرأي.

كانت نظرته التي رمت بها وجهها عميقة التفكير.

ـ لقد تحسنت صحة فايمي كثيراً، وفي الواقع غادرت السرير. لقد أخبرني ليون هذا عندما خابرته صباحاً. سأصحبك في أحد الأيام لتتعرفي إليها.

كانت جوليا تود أن تذهب ولكنها لم تأخذ اقتراح غاي على محمل الجد كثيراً. كانت أشبه بملاحظة عابرة ولم يعدها بذلك، وعلى الأرجح سينسى الأمر. مضى عليه أسبوعين منذ أن ذهب لعيادة فايمي وعندما سيذهب ثانية ستكون لورين برفقته. هذا ما يفعله دائماً.

أصابتها الدهشة عندما جاءتها لورين في مساء أحد الأيام بعد تناول العشاء، وكان غاي قد اعتكف في غرفة مكتبه. سألتها إذا كانت ترغب في أن تذهب معه في الغد لزيارة أخته.

ـ غاي سيذهب في عمل وقد طلبت منه المدام أن يعرج ويزور أخته. وترغب المدام أن أرافقه لأنها من الطراز القديم فهي تعتقد أن وضع فايمي الحساس يجب ألا يناقش إلا بين النساء. ولكني بت أشعر بالضجر من هذا الوضع بسرعة. الأولاد! طالما كرهتهم، حتى الحديث عنهم أكرهه. أنا لن أنجب أطفالاً بالتأكيد.

كان هذا أمراً لم تتوقعه. ولعل ما أصابها بالدهشة هو أن تعبر لورين عن وجهة نظرها بهذا الوضوح. وتساءلت إن فعلت ذلك في حضور غاي. وما دامت كانت قد ضجرت من الذهاب إلى نيس بصحبة غاي فلماذا لم تقل شيئاً من قبل؟

أضافت لورين بحدة وكأنها قرأت أفكار جوليا:

ـ أنا أتمتع برفقته في العادة ولكني أشعر بأني سأصاب بصداع الشقيقة لذلك طلبت منك أن تذهبي بدلاً عني.

تصاب لورين بصداع الشقيقة عندما يناسبها ذلك في أكثر الأحيان. عبست جوليا وقد ارتابت في الأمر، فحولت مجرى الحديث:

ـ ربما يفضل غاي الذهاب بمفرده.

ردت عليها لورين:

ـ أنت لا تعرفين الكثير عن عائلة فايمي، أليس كذلك؟

هزت جوليا رأسها نفياً.

ـ لا على ما أعتقد، ولكني قابلت زوجها.

ـ هل تعرفين أنه مخرج مشهور؟

ـ مخرج سينمائي؟

ـ بالطبع. يجب ألا تدهشي. هذا ما كان يقوم به في المانيا عندما أصيبت فايمي بالمرض.

علقت جوليا وهي تشعر أن هذا ما تتوقعه منها: إن هذا لمثير.

ـ في الواقع، لقد مثلت في أحد أفلامه.

تأتأت لورين ولم تفصح في أي فيلم.

كادت جوليا تسألها عن اسم الفيلم ولكنها أدركت فجأة أنها لا تعرف شيئاً عن الأفلام الفرنسية. كررت جملتها «هذا مثير» لتظهر أنها تأثرت. على أي حال، لم يكن عندها من سبب كي تشك بمقدرة لورين على التمثيل. ألا تشاهد برهاناً على ذلك في كل يوم؟

راقبت لورين وجه جوليا الحائر بسرور:

ـ يبحث ليون عن مواهب جديدة دائماً.

أخفضت صوتها وكأنها تفشي سراً مع أنهما كانتا بمفردهما في الغرفة. أردفت: «في الواقع، سألني عندما كان هنا إذا كان لديك أي خبرة. قال إن نوع جمالك هو ما يبحث عنه».

همست جوليا بعدم تصديق:

ـ أنا؟ لم يذكر لي أي شيء مطلقاً.

ـ لم تكن الظروف مناسبة وقد نصحته بالتريث ولكنه سألني عنك مرة ثانية ـ غاي لا يعرف ذلك ـ حدث ذلك في آخر مرة كنا فيها في نيس.

رمقتها جوليا وهي تشعر بعدم الراحة.

ـ ولكني لا أعرف شيئاً عن التمثيل.

ـ قلة هم الذين يعرفون ولكن بعضهم ربح من فيلمه الأول ما يكفي ليعيش ببحبوحة لبضعة أشهر.

وافقتها جوليا وهي تشك في الأمر.

ـ قد يكون ذلك ممكناً لبعض الأشخاص ولكن ذلك هو الاستثناء على القاعدة وأنا لم أتخيل نفسي يوماً ممثلة.

ـ سيساعدك ذلك على الاستقلال المادي. لا أعتقد أنك تريدين الاعتماد على إحسان غاي لبقية حياتك. إن أخذك ليون فستكونين حرة لتفعلي ما تشائين.

شعرت جوليا فجأة برعشة من البرد تسري في عروقها:

ـ هل طلب منك غاي أن تخبريني بذلك؟

ردت لورين عليها بعفوية جعلت جوليا تصدقها: لا!

وفيما كادت تشعر براحة هائلة أردفت لورين:

ـ ربما لن يوافق. لو كنت مكانك لما أخبرته بالأمر قبل أن تقابلي ليون. إذا كان لديك عمل فأنا متأكدة أنه لن يحاول أن يبقيك هنا. صدقيني، سيكون مسروراً كثيراً.

* * *

٥ ـ لم تعد طفلة!

كانت جوليا تفكر حائرة في ما قالته لورين عندما كانت في الطريق إلى نيس التي تبعد كثيراً عن أرليس، أقرب بلدة إلى منزل غاي. تعرف أن غاي اكتشف أنها غارقة في تفكيرها، وتشعر بالخجل كلما شردت أفكارها بعيداً لأنها كانت تلاحظ مدى لطفه.

لم يذكر غاي أو مافيز شيئاً عن مهنة ليون وهي لا تريد أن تخبره بما سمعت من لورين. لم تعرف لماذا تظن أن لورين خدعتها، فكثيراً ما شعرت بأن لورين غير أهل للثقة.

رفع غاي حاجبيه وهو يرمقها واستفهم منها:

ـ لماذا أنت صامتة؟

توردت وجنتاها قليلاً ثم أجابت بدون أن تنظر إليه:

ـ أنا آسفة. كنت منهمكة بمشاهدة المناظر الطبيعية.

التوى فمه وبدا أنه صدقها.

ـ سأسامحك لأن هذه المناظر أشهر امتداد شاطىء في العالم.

ـ أتسامحني؟

ـ نعم، أقصد على شرودك.

رمقته هذه المرة ولكن السخرية التي واجهتها جعلتها تشيح بوجهها عنه بسرعة. آه! ليته لا يرى ما في داخلها بهذه السهولة. راحت نبضات قلبها تتسارع وكأنها في سباق مع السيارة. بدا صوتها رفيعاً على أسماعها عندما سألته على عجلة:

فراشة الحب

ـ هذا هو الشاطىء اللازوردي؟

ـ نعم وهو يمتد من مرسيليا إلى منتون. لسوء الحظ لم نعد بعض الأمكنة جميلة.

نظر إلى المشاريع السكنية وإلى ناطحات السحاب التي لاحت من بعيد ففهمت قصده:

ـ يستطيع الأسمنت تدمير أي شيء في الطبيعة.

لم تشعر جوليا أنها أهل لمجاراته في الموضوع. لقد سحرها هذا الساحل المتعرج بخلجانه التي لا تحصى وبشواطئه الصغيرة المهجورة وبحره الأزرق الصافي ومناظره الطبيعية الرائعة.

عادت بأفكارها ثانية إلى فايمي وعائلتها.

ـ هل تقيم في نيس بالذات؟

ـ لا، ليس في وسط المدينة. يقيمون في فيلا قرب جوان لي بان التي هي في الحقيقة ضاحية في منطقة أنتيب.

ـ لم يسبق أن سمعت بها.

جمحت سيارة الفيراري القوية، لا شك أنه ضغط قدمه على دواسة الوقود.

ـ إنها مشهورة بحياة الليل.

ـ وماذا عن نيس؟

ـ كبيرة ومزدهرة، عاصمة الريفييرا بلا منازع، وهي تحتوي على كل شيء، تحتوي على الكثير من مباهج المدن الكبرى كصالات السينما والحفلات الموسيقية.

علقت بدون أن تضيف أن ما شرحه غاي لم يعجبها.

ـ يبدو ذلك مثيراً.

ـ إذا كنت تبحثين عن الإثارة.

تريثت جوليا بالحديث وهي تكاد تقول إنها لا تبحث عن الإثارة.

ـ أعتقد أن القليل من الإثارة لا يضر.

ـ هل ذلك يعني أنك تجدين الإقامة في كامارج مضجرة؟

ـ أحياناً، فقط!

أجبرت نفسها على هذا الرد وهي تتساءل عن ردة فعله فيما لو قالت له إنها تحب منزله الذي لا تجده مملاً أبداً، وإنها متأكدة من وقوعها في حبه.

بعد هذا الحديث ركّز اهتمامه على قيادة السيارة واعتلى محياه عبوس مفاجىء. هذا ما جعلها تلتزم جانب الصمت ثانية، وفي هذه المرة لم يحاول قطعه.

فغرت جوليا فاها عندما رأت الفيلا التي تقيم فيها أخته وزوجها ووجدتها كبيرة وعصرية على عكس مزرعة غاي في كامارج.

جاءها صوت غاي بارداً وساخراً عندما توقفا أمام الفيلا، والتفت إليها ليرى تعابير وجهها المرتعدة.

ـ مؤثر، أليس كذلك؟

لم تستوعب هذا المزاج ولم تحاول أن تستكشف ما وراءه. كان لطيفاً للغاية عند بدء رحلتهما ولم تستطع أن تعرف ما الذي أغضبه. تجنبت النظر إلى وجهه القاسي وتركت نظراتها تجول باتجاه المكان الذي صدرت منه أصوات. لمحت من خلال الأشجار ماء بركة السباحة الأزرق.

دهشت عندما رأت عدداً من الأشخاص الذين على ما يبدو يستمتعون على الرغم من مرض فايمي. أمسك غاي بذراعها وقد بدا عليه الاستياء عوضاً عن الدهشة.

ـ هل ندخل؟ أريد أن أعرف ما الذي يجري هنا.

وجدا أخته جالسة في الصالون عندما قادهم إلى الغرفة خادم وقور. ولم يكن هنالك من علائم المرض على فايمي إلا وضع قدميها على الأريكة.

كشف الحبور الذي ظهر في عيني فايمي وفي صوتها أنها سرت لرؤيته.

ـ غاي! ما أروع هذا!

رمق أخته بنظرة وفهمت جوليا نبرته الحريرية:

ـ لقد نهضت. اعتقدت أن من المفترض بك ملازمة الفراش.

ردت وابتسامة عريضة على وجهها وكان من الواضح أنها معتادة على طريقته في الحديث.

ـ منذ ثلاثة أيام قال لي طبيبي إنني أستطيع النهوض من الفراش. إنه مسرور بتحسن حالتي وقد بشرني فيما لو اعتنيت بنفسي، أني أستطيع جلب الولدين بعد أسبوع أو أسبوعين.

ـ إذا اعتنيت بنفسك! لماذا لم تخبرينا بالأمر؟ لو أخبرتني لما ظلّت مافيز قلقة إلى هذا الحد.

ـ كنت أريد ذلك فحالما أخبرني دكتور لانسون بتحسن صحتي، فكرت في أمي فوراً ولكن ليون نصحني بالتريث حتى أتأكد من تحسن صحتي.

تنهد غاي ثم عرفها إلى جوليا وكأنه تذكر للتو أنها موجودة معهما.

تكلمت فايمي بحرارة باللغة الفرنسية ولأنها بدت مسرورة جداً بمقابلتها ووجدت جوليا نفسها وهي ترد باللغة ذاتها.

ـ صباح الخير يا ابنة خالتي القادمة من انجلترا: هذا رائع، لقد ظننت لوهلة أنك واحدة من صديقات غاي الجميلات. هذه مفاجأة ممتعة.

تجاهل غاي تعليقها برقة:

ـ سأترك جوليا معك بسبب ارتباطي بالعمل وأعتقد أن الفرصة سانحة للتعارف.

ـ بالتأكيد يمكنك أن تترك جوليا معي، ما الذي يجعلك تعتقد أنك لا تستطيع؟

نظر باتجاه الآخرين الموجودين في الحديقة وقال: عندك زوار.

لوحت بيدها استخفافاً.

ـ زوار؟ أوه، كل ما في الأمر أن ليون يقوم ببروفات على بعض اللواتي يأملن بالعمل في آخر أفلامه. في الواقع، أعتقد أنه قد تم اختيار من يريد ولكن ما تزال بعض الأمور عالقة. لقد فضل بما أن صحتي تحسنت كثيراً أن يقوم بذلك في البيت، فمنذ أن وقعت طريحة الفراش لم

يرغب في الابتعاد.

عبس غاي:

ـ هل سيدخلون إلى البيت؟

أجابت فايمي بدلال:

ـ لا. هل أنت قلق على جوليا؟ اطمئن يا أخي فهي لن تصاب بأذى، وأنت تعرف أن ليون ليس عديم الضمير. إنه يقدر تماماً وضع زوجته الصحي ولا يرمي بالحملان إلى الذئاب.

لاحظت جوليا التواء شفتي فايمي بسخرية فيما كان غاي يرتد مغادراً، ثم شاهدت كيف تبدلت تعابير وجهها من السرور إلى العبوس.

ـ الأفضل ألا يفعل لأنه سيفسد هذا النهار علينا. أتساءل الآن عما دهاه؟

شعرت جوليا أنها غير راغبة في الاستفادة من النبرة الفضولية في صوت فايمي؟ ولكنها استنتجت أن غاي لا يريد أن تضيع ليزوجها زواجاً محترماً. تكلمت فيما كانت فايمي تنظر إليها متأملة:

ـ أعتقد أنه يشقى في العمل كثيراً.

وافقتها فايمي الرأي وهي تستلقي مجدداً على كومة المخدات بكسل:

ـ ربما أنت على حق، هل تعرفين أن حياتي قبل الزواج من ليون كانت محمية ومعزولة؟ وما زال غاي يظن أن باستطاعته أن يملي أوامره علي.

دهشت جوليا عندما وجدت نفسها لا تتقبل نبرة الانتقاد في صوت ابنة خالتها وأجابتها بسرعة:

ـ إنه يقدرك كثيراً.

ابتسمت فايمي بحزن من دون أن تضمر شراً.

ـ أعرف ذلك، مشاعره العائلية في غاية القوة. هذا ما اعتدته منه ولكن يبدو أنه سلّط غريزة الحماية ذاتها عليك أنت.

لاحظت جوليا حقيقة ذلك مع علمها أنه سيكون مسروراً بالتخلص منها.

ـ إنه يشعر بالمسؤولية مع أن لا حاجة به إلى ذلك.

ـ ستجدينه مثال الرجل الفرنسي التقليدي. تغيرت الأيام ولكن التقاليد لا تموت بسرعة، خاصة في المناطق الريفية. فما يزال الرجل الفرنسي العادي يرغب في توجيه وحكم عائلته ولكن الشباب في هذه الأيام يتمتعون بمزيد من الحرية.

وافقتها جوليا وقبل أن تضيف شيئاً اعتذرت فايمي بسرعة ودعتها للجلوس ثم طلبت لها القهوة. وفيما كانا يرتشفانها تحدثتا واكتشفتا كلتيهما أنها قد أعجبت بالأخرى.

تكلمت فايمي قليلاً عن المشاكل التي تجعل حملها صعباً ولكن بدا أنها أكثر شوقاً للتحدث عن توأميها وكان ظاهراً أنها تفتقدهما كثيراً. سرت جوليا لأنها استطاعت أن تعلمها بأخبارهما أولاً بأول ولكنها لم تأت على ذكر حادثة تحطم الإناء بل اكتفت بالتحدث عن شقاوتهما وألاعيبهما الصغيرة فأغرقت فايمي بالضحك.

اشتكت فايمي:

ـ لم يكن بوسع لورين أن تخبرني عنهما هكذا بتاتاً.

ردت جوليا عليها بحذر:

ـ ربما لأن أخاك يأخذ الكثير من وقتها.

ـ بل العكس هو الصحيح، فطالما أعجبت لورين بغاي ولكن هذه الشرارة غير موجودة عنده.

ـ الشرارة؟

ـ نعم، أنت ما زلت بريئة كثيراً؟ عندما تعرفت إلى ليون شعرت بها على الفور. إنها كشعلة نار، وهي ما تزال في قلبي وهذا شعور يصعب تفسيره.

ـ لا، ليس من السهل تفسيره.

تسببت موافقة جوليا الصامتة بتورد وجهها ودفعت حدقتا فايمي لتضيقا ثم أغرقت فايمي في التفكير وكانت على وشك أن تقول شيئاً ولكنها عدلت عن رأيها لأن زوجها دخل إلى الغرفة من النافذة وكان

واضحاً من القلق البادي على وجهه أنه جاء ليطمئن على زوجته.

ـ هل أنت بحالة جيدة يا حبيبتي؟

استفهم منها وهو يرمي الفتاة الأخرى الجالسة إلى جانب زوجته بنظرة حادة، وظهر أنه دهش وسر في آن.

ـ جوليا! هل أتيت مع لورين؟

ـ لقد أتت مع غاي.

ارتفع حاجبيه ورمق زوجته بسرعة قبل أن يصب اهتمامه من جديد على جوليا.

ـ غاي! لا تقولي إن ابن عمي قد أتى بك هنا ثم غادر وتركك؟

تذكرت ملاحظة غاي عن الذئاب ولكنها لم تر شيئاً من الذئاب في وجه ليون الناعم. كان يبدو مختلفاً عما كان عليه يوم أتى إلى المزرعة ليخبرهم بمرض فايمي ورأت فيه رجل أعمال مهيباً. كان مرتدياً سروالاً من الجينز وسترة قطنية وبدا أنه أصغر بسنوات.

عندما ذكرت لورين لها أنه يرغب في أن تمثل في أحد أفلامه لم تأخذها جوليا على محمل الجد. ولكنها صدقت بعد نصف ساعة أن لورين لم تكن تهزأ بها، فقد تجاهل ليون الذي بدا أنه يستغل غياب غاي ضيوفه وتقدم منها بعرضه:

ـ آمل بأن أبدأ بهذا الفيلم في غضون شهرين وأنا أبحث عن فتاة مثلك، شابة وجميلة وبريئة.

توردت وجنتا جوليا من جراء صراحته وقالت متلعثمة:

ـ ولكن ليس لدي أي خبرة يا سيدي!

أجابها بصوت جاف:

ـ ناديني ليون. هذا ما أريده، فتاة من دون خبرة. إنه ليس دوراً كبيراً ولكنه مهم. لو كنت أظن أنك لا تقدرين على تمثيله لما اقترحت عليك ذلك.

اعترفت من دون إبداء الأسباب:

ـ إنه عرض مغرٍ.

شجعتها فايمي:

ـ لو كنت مكانك لما ترددت. سوف تقيمين معنا بالتأكيد. أنا أعرف أن ولدي سيسران بوجودك. ستكونين عوناً كبيراً لي إذا خففت عن عاتقي حملهما أحياناً، وسيكون عندك الوقت اللازم لتلقي التدريب المناسب.

حاولت جوليا أن تشعر بالحماسة لأنها ستصبح ممثلة.

ـ ماذا إذا فشلت؟

أجابتها فايمي قبل أن يتدخل ليون:

ـ لن يحدث ذلك ولكن إن حدث وفشلت فسيتمكن ليون من إيجاد عمل لك في مكان ما، أو تستطيعين البقاء معنا دائماً والاعتناء بالمولود الجديد. عندنا الكثير من الخدم ولكن ليس عندنا مربية.

كان على جوليا أن تقبل وقد شعرت أن ثقتهما الصادقة قد غمرتها. كرر ليون تأكيده بأنها ستصيب نجاحاً باهراً، ولكن ذلك لم يشعرها بالسعادة.

بحثت تفاصيل الاتفاق الصغيرة، واعتبرت أن الشروط التي وضعها ليون تدل على كرم زائد واتفقا أن ترجع إلى هنا في نهاية الأسبوع. ولكنهما ويا لسوء الحظ لم يأخذا بعين الاعتبار رفض غاي الشرس.

عاد غاي ذلك اليوم متأخراً ولكنهم أقنعوه بالبقاء لتناول العشاء، تساءلت جوليا، قبل دخولهم إلى غرفة الطعام إن كانت تلك هي اللحظة المناسبة لإعلامه بأنها ابتداء من نهاية الأسبوع ستعمل مع ليون. جلب لها غاي كأساً من العصير وبدا أنه نسي أن ذراعه ما زالت على كتف جوليا. حارت كيف استطاعت أصابعه الباردة أن تجعل الحرارة تسري في عروقها وعرفت أنه لاحظ ردة فعلها وشدد قبضته عليها. كادت تكشف من فرط يأسها كم ستستريح لو استطاعت الإفلات منه عندما لاحظت فجأة فايمي تهز رأسها محذرة. فمن الواضح أن حب التملك عند غاي يجعل فايمي حذرة وفضولية ولكن جوليا أحست بالامتنان عندما راحوا يسألون غاي عن مقابلته مع أستاذه الجامعي الذي زاره اليوم.

لم تستطع جوليا المشاركة في حديثهم فاكتفت بالتحديق إلى

الخارج. أصبحت الحدائق هادئة بعدما تفرق الأشخاص الذين كانوا متجمهرين حول بركة السباحة.

قابلت جوليا في فترة بعد الظهر بعض الموجودين ومن بينهم ابن عم ليون الذي اضطر للمغادرة باكراً ولكنه كان هنا لسبب مختلف عن الآخرين. لم يكن أندريه تيسيه من العاملين في حقل الأفلام ولكنه يستمتع بصحبة النجوم. يملك والده كرماً غير بعيد عن كامارج ويدير أندريه الأعمال لأن والديه مسافران. كادت جوليا تحس بالزهو لأن أندريه أعجب بجمالها ووعدها بالاتصال بها قريباً.

توسلت إحدى النساء اللواتي كن موجودات أن يسمحوا لها بالبقاء لتقابل غاي الذي تناولت العشاء معه منذ عدة أسابيع ولم تشاهده منذ ذاك الحين. حاولت جوليا أن تنسى أمر كلويه المتبجحة كما نعتها ليون، وحاولت أيضاً أن تتوقف عن التساؤل عما إذا كان غاي واقعاً في حبها. شعرت بالخجل من فرط سرورها عندما سمعت ليون يطلب من كلويه بصراحة أن ترحل لأنه وغاي سيناقشان أموراً تتعلق بالعمل.

تناولت فايمي بحذق موضوع وظيفة جوليا الجديدة بعد الانتهاء من تناول العشاء. كان الطعام مطهواً ومقدماً بعناية ولكن طعمه بدا لجوليا كنشارة الخشب.

بدأت فايمي الكلام بعدما لفتت انتباهه عندما كان يحدق إلى عيني جوليا وكأنه أحس باضطرابها:

ـ جوليا ترغب في إيجاد عمل ما يا غاي.

ـ أهذا صحيح؟

لم يبدُ في صوته أي اهتمام وانتبهت جوليا إلى تورد وجنتيها بسبب الشعور بالذنب الذي كان واضحاً له خاصة وعيناه لا تفارقان وجهها.

ـ أنت تعرف ذلك!

تناولت كأس الماء وهي تدرك أن صوتها جاء خاوياً ثم وضعته ثانية بسرعة. لا جدوى من الاختناق الذي أوشكت أن تصاب به.

حرك غاي فمه دلالة عن الاستخفاف.

ـ لقد سمعتك تذكرين الأمر من وقت لآخر ولكني أعتقد أنك أصبحت على معرفة بوجهة نظري في هذا الموضوع.

أدركت أن ما قاله، نظراً إلى عبوسه ونبرة صوته، كان نهاية الموضوع. إذا أصرت فسيرفض المناقشة. حدقت جوليا إليه فبدا أن هناك معركة ما بين إرادته وإرادتها ثم أحنت رأسها منهزمة. وتحفظت فايمي:

ـ لقد عرض عليها ليون دوراً في أحد أفلامه.

أكمل ليون الحديث عن زوجته:

ـ إن الفيلم على مستوى جيد يا غاي وستبقى معنا لنعتني بها.

نهض غاي وتكلم ببرودة:

ـ أنا متأكد من ذلك، هيا يا جوليا لقد حان وقت الذهاب.

رفض حتى التكلم في الموضوع! توسلت جوليا التي اعتراها الغضب فجأة:

ـ ولكن، أوه أرجوك، يجب أن تنتظر.. دع ليون يوضح..

صرخ غاي:

ـ هل تظنين أني بحاجة لذلك؟

أخضعت سطوته الجميع فوراً. تكلم إلى جوليا وصوته ينطلق كالرصاص:

ـ العرض صادق ولكن ليس لك. عندي خبرة في الحياة السينمائية وأعرف ما الذي قد تفعله فتاة شابة، فلن يكون ليون معك كل الوقت.

اعترض ليون وصوته يلعلع خلفهما، أما غاي فكان يجر جوليا إلى السيارة.

ـ يجب أن تنضج يا غاي، وهي بالغة على أي حال.

ـ أتقصد ليغويها أحد العاملين في فريقك؟

ـ أهذا رأيك بي؟

فتح غاي باب السيارة ودفع جوليا إلى داخلها ونظر إلى زوج أخته بسخرية:

ـ ليس بك شخصياً مع أني أشك في دوافعك.. دعني أخبرك أني

أقدر لك ما تؤمنه لأختي من حياة رغيدة.

هدرت السيارة وهي تخرج من ممر الفيلا.. حاولت جوليا التقاط أنفاسها. كانت تغلي من فرط الاستياء فلم يسمح لها بأن تنبس بحرف دفاعاً عن موقفها. أخافها حتى الموت الغضب الجامح الذي اعترى غاي، ولكن يجب أن تأخذ موقفاً من أجل كرامتها. إن سمحت له الآن أن يدوس عليها فسيعيد الكرة ثانية في المستقبل.

قلبت الأمر في ذهنها.. يجب أن تبتعد عنه حتى وإن كان ذلك لأسباب لا تستطيع تفسيرها. يا لسخرية الأمر! تعرف أنه سيتركها تذهب لو استجمعت شجاعتها واعترفت له أنها واقعة في حبه.

ابتلعت ريقها بصعوبة وذكرت نفسها أن الإنجليز حاربوا الفرنسيين مراراً وانتصروا عليهم.

ـ ألا تظن أنك كنت جلفاً بصورة رهيبة؟ ليون وفايمي لطيفان، وأنا متأكدة أنهما لا يستحقان أن تخرج عن طورك معهما بهذه الصورة.

جاء كلامها معتدلاً ولكنها كانت تستجمع قوتها لتشن عليه هجوماً مباشراً. الواضح أن لا أحد تجرأ على انتقاد غاي جيرارد من ذي قبل.. لذا تزايدت شدة غضبه.

ـ ما كان عليّ اصطحابك إلى هنا أبداً. إنها غلطتي ولكنني لن أسمح لك بالاعتراض على ما أقوله..

تبخر الغضب من صوتها وفقدت القدرة على مجادلته.

ـ أرجوك يا غاي.

زاد من سرعة السيارة حتى بدا أنهما يطيران في الظلام الدامس.

ـ هل تستطيعين أن تهدئي؟ سأجد مكاناً للتوقف وعندئذ نتحدث.

إن ذلك تهديد بلا ريب، فمن المؤكد أنه لن يتوقف ليعتذر.. ارتعدت فرائص جوليا عندما انعطف بالسيارة إلى طريق فرعية مهجورة.

همست عندما توقف في وسطها:

ـ لماذا هنا؟ ماذا تفعل إن أرادت سيارة أخرى المرور؟

ـ لن تأتي سيارة أخرى. كان عندي بعض الأملاك في هذه المنطقة

وهذا الطريق يقود إلى أرض عشبية فقط.

سألته وهي تحدق إلى ما حولها بجزع:

ـ ألا تستطيع الانتظار حتى نصل إلى البيت؟

كانت أعصابها مشدودة إنما ليس خوفاً من الظلام. قال بعناد وعدم تنازل:

ـ لا! إذا وجب علينا التكلم بهذا الموضوع فسنقوم بذلك بلا المخاطرة بأن تسمعنا مافيز وتنزعج. وأنت معتادة على اللجوء إلى غرفة نومك عندما لا توافقين على أمر ما ولا أنوي اللحاق بك إلى هناك.

أيظن أنها تشجعه؟ وما هذه التعابير التي يستعملها عندما لا يوافقك ذلك وكأنها طفل مدلل؟

ـ أعتقد أنك حقير.

ـ كفى.

ـ أنت لا تملك حق التدخل في شؤوني.

ـ بل عندي كل الحق.

ـ ليس لك أن تمنعني من اختيار ما أريد عمله.

ـ هل هذا حقاً ما تريدين عمله؟ أن تصبحي بين ليلة وضحاها نجمة صغيرة مبتذلة.

صرخت وهي غير راغبة في الرد:

ـ هذا ليس عدلاً. التمثيل مهنة محترمة وكثير من الناس ينجحون بممارستها.

ـ يحدث ذلك بعد دراسة سنوات في معهد تمثيل وبعد الموت من الجوع تقريباً. هل نسيت الإرهاق الذي يحصل بسبب انتظار الإثارة؟

كيف له أن يكون رهيباً على هذا النحو! رفعت جوليا رأسها وعيناها تنذران بعاصفة: أي إثارة؟

ـ أن يأخذك بطل الفيلم بين ذراعيه. هل توقفت للحظة لتفكري أنك لا تحتاجين الذهاب إلى هذا المدى لتحصلي على العناق؟

اشتعل غضبها بسبب سخريته:

ـ أنا غير مهتمة بهذه الأمور.

ـ غير مهتمة؟

عرفت ما سيحدث لاحقاً عندما امتدت ذراعاه إليها وكالعادة لم تكن مستعدة عندما أمسك بها.

ـ باستطاعتي إعطاؤك العناق والحنان.

ـ كفى.

صرخت به وجاء صوتها منخفضاً أكثر مما كانت تود. ليس من السهل التخلص منه. ما هي إلا لحظة حتى طوقتها ذراعاه وعانقها بقسوة محطماً قدرتها على المقاومة كما فعل في المرات السابقة. أرادت أن تقاوم ولكنها لم تستطع، أمسك غاي بها بقوة جعلتها بلا حراك وشعرت بموجة من الأحاسيس تنطلق في داخلها.

ـ أرجوك يا غاي ما الذي تفعله؟

أرخى قبضته عنها ثم أمسك بوجهها وعيناه القاسيتان تتحدانها:

ـ أوفر لك التسلية، كنت تشعرين بالحاجة إليها ونحن في طريقنا إلى نيس. وعليه لا تستطيعين التذمر.

ـ ما الذي يجعلك تعتقد أني أجد العناق مسلياً؟ إني لا أشعر بأي شعور عندما تفعل ذلك.

ـ لا تشعرين بذلك، ربما لم أبذل جهدي؟

حاولت جوليا التملص عندما همَّ بمعانقتها ثانية ولكن محاولتها باءت بالفشل لأنه كان ممسكاً بها بكل قوته. كادت تسمع خفقات قلبها عندما وضع يده على عنقها وعرفت أنه يستطيع أن يكتشف بسهولة مدى تأثيره فيها. إنه يعرف بالتأكيد أنها عاجزة أمامه.

لم يكن عندها مجال للهروب. في البدء أرادت الهرب ولكنه أذاب مقاومتها بسهولة. فجأة ابتعد قليلاً ثم قال: هذا خطأ.

ـ أما زلت تعتبرني طفلة؟

كان يحدق إليها بعينين ملتهبتين.

ـ لم أعد أعتبرك طفلة منذ وقت طويل.

لماذا بدا هذا الإقرار وكأنه انتزع منه عنوة؟

بحثت عينا جوليا المعذبتان عن أجوبة لأسئلة لم تجرؤ على النطق بها ولكن تعابير وجهه أشارت ببساطة إلى أن مزاجه لا يسمح بأي شرح. ولكنه أوضح قليلاً ربما لأنه أشفق عليها وهو يرى أصابعها المرتجفة التي كشفت عن الصراع في داخلها:

ـ أنت لم تعودي طفلة يا جوليا ولكنك امرأة شابة عديمة الخبرة ولأنك شابة وجميلة أنت معرضة للمخاطر.

فغرت فاها وشعرت فجأة بفورة غضب:

ـ أرجوك لا تبدأ محاضرة عن بلوغي سن الرشد، إن الكثيرات من أترابي متزوجات ولديهن أطفال.

رفض أن يُجر إلى الجدال ونصحها بالهدوء. لاحظت أنه يحاول تهدئة الجو المشحون بينهما، وبسبب ذلك وجدت أنها مستعدة للمصالحة.

حاولت أن تتشجع وتنظر إليه مباشرة:

ـ أنا.. آسفة لأني قبلت عرض العمل بدون استشارتك أولاً.

نظر إليها غاي مفكراً:

ـ ليتك تعنين ذلك حقاً يا جوليا فأنا لا أريد منك أن تشعري بالنفور.

ابتسمت بمرارة:

ـ لا أعتقد أني صالحة لأكون نجمة سينمائية ولكن أختك قالت إني أستطيع مساعدتها على الاعتناء بالولدين وبالمولود القادم.

ـ سننظر في هذا الأمر لاحقاً، ولكني في الوقت الحاضر لا أنوي تعريضك لقدرات ليون في الإقناع.

ـ أنا متأكدة أنه لا يقصد سوءاً وأنا أعجبت بفايمي.

سألها بمكر:

ـ أرى أن الإعجاب متبادل بينكما. هل كان عندك فكرة مسبقة عن عرض ليون الدور؟

ـ قالت لورين..

ـ هذا ما ظننته.

شعرت جوليا أنها مضطرة للكلام دفاعاً عن لورين لأنها خانت ثقتها بها.

ـ لا تلُم أحداً. ظنت لورين أني أبحث عن عمل وكانت تحاول مساعدتي فقط.

رفع غاي يده وقال:

ـ أرجوك أعفيني من ذلك!

تلعثمت جوليا ولم ترغب في المشاكسة.

ـ حسناً.. ولكني سأضطر للبحث عن مكان آخر أقيم به بعدما تتزوج وسيكون من السهل ذلك إن استطعت أن أجد عملاً جيداً.

تنهد ثم شغل محرك السيارة التي أرجعها إلى الوراء وانطلق ثانية إلى الطريق الرئيسي.

ـ إن ظلّ هذا هو شعورك بعد ستة أشهر فستتكلم عن كيفية تدريبك على عمل مناسب. ولكن حتى ذلك الحين عليك أن تحصري نفسك في المزرعة.

عندما وصلا إلى البيت كان الوقت قد أصبح متأخراً والكل نائمون بمن فيهم لورين التي تسهر إلى ما بعد منتصف الليل.

نظر غاي إلى وجهها الواهن بعين متفحصة.

ـ لو كنت مكانك لخلدت مثلهم إلى النوم، إلا إذا كنت تريدين قليلاً من القهوة!

شكرته جوليا رافضة دعوته مع أنها ودت لو شاركته موعد منتصف الليل في المطبخ الكبير معه.

ـ أفضل ألا أتناول القهوة ومن الأفضل أن أستحم فلا شك أن مظهري رهيب.

وضع غاي يده على شعرها وهو يرمقها ساخراً:

ـ هل نبحثين عن الإطراء والمديح؟ يجب أن تعلمي أنك جميلة دائماً.

ارتدت عنه بحدة لأنها لا تثق بنفسها عندما تكون على مقربة منه.

ـ عمت مساءً يا غاي.

فوجئت بيده تمسك بها فيما كانت ترتد عنه وأرجعها:

ـ نسيت أن أسألك. من مِن الآخرين قابلت عند فايمي؟

نظرت إلى صدره العريض ولم يساعدها ذلك في نمالك نفسها. سحبت نفساً عميقاً ونطقت بأسم المرأة التي ظلت تفكر فيها طوال السهرة.

ـ امرأة تدعى كلويه، كانت راغبة لتلتقي بك ثانية.

ـ كلويه هيرف؟

كانت جوليا قد نسيت اسم عائلة المرأة ولكنها تذكرته الآن بوضوح، واحتقرت نفسها لأنها سألته:

ـ نعم، هل هي صديقة خاصة؟

ـ لا.

اختلط الشك والشعور بالراحة عندما رفعت عينيها لتتأمل وجهه.

ـ قالت إنها تناولت العشاء برفقتك.

ـ تناولنا العشاء مع آخرين. أما المناسبة فكانت حفلة افتتاح فيلم سينمائي على ما أذكر، ولأن ليون يقيم الحفلات كثيراً رجتني فايمي أن أحضرها. مثلت كلويه هيرف الدور الرئيسي وقد أعجبني تمثيلها، وهذا كل ما في الأمر.

لم تحاول جوليا إخفاء شعورها بالراحة، وشعرت للمرة الأولى منذ وصولهما إلى البيت أن باستطاعتها الخلود للنوم. عندما لاحظت ابتسامة غاي الماكرة توردت وجنتاها وعلقت:

ـ كنت أفكر في لورين.

غابت الابتسامة عن وجهه وصرخ:

ـ لماذا تفكرين في أية واحدة منهما؟ تصبحين على خير جوليا.

أيقظها في الصباح التالي والآخرون ما يزالون نائمين. شبك يديه في خصلات شعرها الجميل والكثيف ورفع رأسها ثم مال إليها قائلاً: «صباح

الخير»، أما هي فكانت تفتح عينيها بصعوبة.

ـ أتنامين دوماً هكذا؟

أدركت فجأة أين هي ومن يجلس على سريرها. حدقت إليه باعتراض صامت، همست: «ما الذي تريده؟»

ـ أشياء كثيرة، آمل في الحصول عليها بالصبر والعناق الودود.

تشنجت إذ خشيت أن تشجعه تعابير وجهها:

ـ غاي! كن جاداً!

تنهد ثم ارتد بعيداً وعلا وجهه فجأة الشرود.

ـ وأنا كذلك، ابقي تحت شرشفك يا صغيرتي البريئة، فلم آتِ لأؤذيك.

وقف أمام النافذة التي فتحتها على مصراعيها في الليلة السابقة ومال إلى خارجها، سمعته يسحب نفساً عميقاً من هواء الصباح العليل وكأنه بحاجة ماسة له:

ـ إنه أمر نسيت أن أذكره لك ليلة أمس. أعتقد أن من الحكمة عدم ذكر عرض ليون لمافيز، فهي لن توافق ولن تحصلي إلا على محاضرة أخرى.

أيحاول الاعتذار بطريقة ملتوية؟ نظرت إلى ظهره العريض وإلى عضلات كتفيه المفتولة فقررت ألا تتحدى قدرها وسألت:

ـ ألن تخبرها فايمي؟

ـ لا، سأكلمها هاتفياً قبل الفطور، وهذا ما جئت أحدثك به. سأغادر حالاً ولكن لم أشأ الخروج بدون رؤيتك.

تلعثمت وهي تكاد تذكر لورين.

ـ من الأفضل أن تحذر فايمي لئلا تذكر الأمر إلى أي شخص آخر.

قال لها وهو يخرج من الباب:

ـ لا تقلقي واتركي الأمر لي.

هبَّت عن السرير حالما غادر الغرفة واندفعت إلى الحمام لتستحم. إنها تريد زوجاً يسمح لها بالاهتمام الإيجابي بأعماله ولكن بطريقة تقليدية

لأنها تريده قوياً تستند إليه، فغاي مرتبط ومن الواضح أن آمالها لن تصل إلى مبتغاها. يجب أن تدبر أمرها أو على الأقل أن تتعلم عدم الاعتماد على رجل واقع في حب امرأة أخرى.

كان غاي قد غادر عندما نزلت لتناول الفطور. جلبت هورتنس القهوة لها وذكرتها أن هنالك أموراً كثيرة عليها أن تهتم بها.

سألت جوليا هورتنس عن غاي.

ـ إنه يربي الثيران والخيول وهي بحاجة إلى عناية وإدارة، وهو يملك مزرعة أخرى في الرون الأعلى.

هزت جوليا رأسها وابتسمت هورتنس:

ـ لم أشاهد قط مصارعة الثيران ولا أعرف إن كنت أريد أن أشاهدها.

ـ إن بقيت هنا فلا مناص من مشاهدة هذه المصارعة. المصارعات تجري كل يوم أحد في الصيف، وهي مشهد مؤثر يا آنسة.

ـ أستطيع أن أتخيل ذلك.

ـ يجب أن تقنعي السيد غاي باصطحابك في أحد الأيام.

ـ هل أشاهدها؟

ـ نعم، لقد كان في السابق رازانور رائع.

ـ تقصدين.. مصارع ثيران؟

ـ لا تجزعي يا آنسة، كان ذلك قبل أمد بعيد عندما كان في مثل سنك على ما أعتقد. وهو لم يمارس هذه اللعبة إلا سنة أو سنتين.

لم تستطع جوليا إخفاء شعورها بالراحة.

ـ إذن هو لا يقوم بها الآن؟

تكلمت هورتنس بفخر.

ـ لا.. سيبلغ الأربعين بعد سنوات قليلة، ولكن الأوان لم يفت بالنسبة له فهو قادر على العودة إلى المصارعة.

حاولت أن توقف ارتعاشها الذي سببه تخيلها غاي وهو يواجه خطراً كهذا. من الواضح أن هورتنس حاولت التعامل مع هذه المسألة بخفة.. أجبرت جوليا نفسها على الانتظار حتى عادت القوة إلى ساقيها قبل أن

تهرع إلى الطابق العلوي وتتحدث مع مافيز.

نادراً ما كانت مافيز تنهض قبل منتصف النهار وكانت معتادة على أفراد عائلتها وهم يدخلون إلى غرفة نومها ويخرجون منها. وقد سرت لرؤية جوليا.

ـ لقد عادني غاي باكراً. كان يعلم أني أنتظر أخبار فايمي. ليتك تعرفين كم شعرت بالراحة عندما عرفت أنها شفيت تقريباً.

شعرت جوليا بالخجل واستاءت لأن غاي سرق الأضواء منها.

تنهدت مافيز مرتعشة أما جوليا فجلست على الكرسي الموجود دائماً إلى جانب السرير.

ـ أنا مسرورة، سأفتقد الولدين عندما يرجعان ولكني لا أريد أن أكون أنانية.

ابتسمت جوليا: لا شك أن فايمي ستصحبهما كثيراً لتريهما.

ـ ليس أكثر مما أرغب فيه. يعيش فايمي وليون حياة صاخبة كما رأيت.

أومأت جوليا برأسها من دون أن تعلق. لم ترغب أن تتعرض إلى أسئلة محرجة قد تطرحها عليها خالتها مافيز.

سمعت مافيز تتمتم:

ـ أستطيع أن أزورهم. لقد طلبوا مني ذلك مراراً. باستطاعتك مرافقتي، لقد أخبرني غاي أن فايمي أحبتك.

نعم.. ترددت جوليا... لا تعتقد أن غاي سيسمح لها بالعودة إلى نيس في وقت قريب حتى ولو كانت برفقة مافيز، ولكنها قررت أن لا فائدة من القلق على أمر قد لا يحدث أبداً.

كانت خالتها تخطط دائماً للقيام بالرحلات ولكن جوليا لا تتذكر أنها شاهدتها في غضون الأسابيع التي قضتها في المزرعة، تقوم فعلاً بأي رحلة.

شعرت بالراحة عندما دخل الولدين ركضاً. ولما لاحظت بعد دقائق قليلة أن حبوبتهما الدائمة أرهقت جدتهما العزيزة، اقتادتهما إلى خارج

الغرفة.

ـ أراك وقت الغداء.

ألقت مافيز عليها نظرة حانية ملؤها الامتنان لأنها اقتادت الصبيين إلى خارج الغرفة، فشعرت بغصة في حلقها لأن خالتها محبة كثيراً.

كان مزاج الولدين متقلباً. أرادا الخروج بالخيل إلى المروج فوافقت جوليا على ذلك لأنها كانت تشعر بأن مزاجها متقلب أيضاً. كانت غير متمرسة بركوب الخيل كلورين ولكنها كانت تحب ركوب الخيل وتأمل أن تجيد الفروسية.

دهشت عندما انضمت إليهم لورين في الاسطبل. كانت في غاية الأناقة ترتدي لباس الفروسية.

تعرف جوليا أن لورين لا تتريض إلا إذا كان هناك هدف من وراء ذلك، وهدفها كالعادة هو غاي الغائب.

لم تضطر إلى الانتظار طويلاً. التفتت إليها لورين بحدة وهي تقاطع الحديث الحماسي الذي كان يدور بين فورتش وفيتز عن كيفية العثور على الخيول البرية.

ـ حسناً، كيف جرت الأمور معك؟

تنهدت جوليا لأنها لم تستشف الأمور. كان يجب أن تعرف! ردت عليها بأدب وتعمدت أن تتفادى الموضوع.

ـ كل شيء على ما يرام، شكراً لك.

ظهر على لورين نفاد الصبر.

ـ تعرفين قصدي. هل عرض ليون عليك العمل؟

ارتدى وجه جوليا ابتسامة لا مبالية.

ـ نعم ولكني رفضت.

بدا على لورين الغضب:

ـ رفضت؟ لماذا بحق السماء رفضت؟

شعرت جوليا بأن الفتاة الأخرى فقدت عقلها، فمع أن لورين أول من أخبرها عن ليون اعتبرت جوليا أن ما جرى في نيس أمر لا يخصها بالفعل.

فردت عليها بلا مبالاة:

ـ لم أشعر برغبة في ذلك.

ـ هذا هراء!

ـ حسناً، لقد فات الأوان الآن.

أصبحت لورين غاضبة حقاً:

ـ إذاً ماذا تنوين أن تفعلي الآن؟ لا يمكنك البقاء هنا.

أتى كلامها صريحاً ومشبعاً بالانتقام، ارتعشت جوليا وهي تلمح الكراهية العميقة في وجه لورين. أما الرد بهدوء فتطلب من جوليا الكثير من الشجاعة:

ـ ربما لا، ولكن يجب أن أبقى حتى أعثر على عمل يعجبني.

لم تجرؤ على ذكر وعدها لغاي بأنها باقية ستة أشهر أخرى. ولم تسعفها أعصابها عندما وصل الأمر إلى هذا الحد أن تجرب مدى قدرة لورين على الاحتمال.

أكد الغضب الواضح في صوت لورين أنها كانت حكيمة في حذرها. شدت لورين لجام حصانها العربي الأصيل بقسوة.

ـ أنت فتاة مستحيلة، أنا ذاهبة لأبحث عن غاي. هل يعرف أحد أين هو؟

التفت إليها فورتش عندما كان يعتلي فرسه بمساعدة جوليا:

ـ خالي غاي؟ عندما رأيته آخر مرة كان في غرفة نوم جوليا.

اتسعت عينا لورين بغضب جامح:

ـ غرفة نوم جوليا؟ هل ما تقوله صحيح؟

ـ نعم، كان يميل إلى خارج نافذتها. رأيته أنا وفيتز من الحديقة.

أضاف عندما انطلقت لورين على حصانها والغضب بادٍ عليها:

ـ لماذا لورين غاضبة يا جوليا؟

استطاعت تمالك شتات نفسها ولكنها كانت تشعر بعدم القدرة على الكلام بسبب ما كشفه فورتش. على أي حال لم تكن تعرف ما الذي قد تقوله ولم يكن باستطاعتها تبرير وجود غاي في غرفتها ولم يكن عندها

الوقت الكافي للتفكير في حجة ملائمة.

ـ لبتك لم تذكر شيئاً عن خالك.

ـ ولِمَ لا؟

تنهدت جوليا ثم هزت رأسها.

عندما التقوا لورين لاحقاً في الصباح ذاته دهشوا وهم يرونها في مزاج رائق. لم يبدُ أنها سرت برؤيتهم ورغبت جوليا في سرها أن تتفاداها ولكن لا يبدو على محياها ما يوحي أنها تعاركت مع غاي.

أمضى غاي وعماله الصباح في اختيار الثيران المناسبة للمشاركة في الاحتفالات القادمة على حلبة المصارعة، وبعدما أتموا ذلك باتوا جاهزين للعودة ولتناول طعام الغذاء. لم تستطع جوليا أن تمنع نفسها من التحديق إلى غاي الذي ألقى التحية عليها عندما وصلت مع التوأم. كان غاي برفقة لورين وكانا ممتطين خيولهما. كان يرتدي سروالاً أسود ملتصقاً به وكأنه جلده الثاني وقميصاً قطنياً بدا أشد اسمراراً من جميع رجاله ورجولته بارزة بشكل مشع.

سألها وهو ينظر إلى قميصها الحريري:

ـ هل استمتعت بركوب الخيل.

ـ كنت سأستمتع أكثر لو كنت متمرسة بركوب الخيل.

ـ أين ذهبتم؟

ـ أراد الولدان مشاهدة الخيول البرية وقد شاهدنا رعيلاً منها قرب إحدى المستنقعات.

عبس غاي:

ـ كان يجب أن تنتظري حتى يتسنى لي الوقت لمرافقتكم.

ـ لم تقل إنها خطرة.

ـ الخيول البرية غير خطرة عادة، ولكن من المحتمل أن تكون فحولها خطرة عندما تقوم لأسباب خاصة بها بحراسة إناثها.

ضحكت لورين برقة ومالت إليه ممررة يدها على ذراعه.

ـ أليس الذكور جميعهم على شاكلة بعضهم بعضاً يا حبي؟

لم ينزعج غاي من صراحتها ولاحظت جوليا أنه قد يكون متجاوباً معها. لا شك أنه يهتم كثيراً بلورين.

ـ أنت تحرجين ابنة خالتي.

قالها بسخرية ولكن ما أغضب جوليا هو ادعاؤه صلة القربى التي طالما أنكرها. عندما ضحكت لورين ثانية بصوت يعبر عن الرضى الكامل صرّت جوليا على أسنانها. سبقهم الرجال ولكنهم أخذوا الولدين معهم، أدار غاي ولورين خيلهما ولحقا بهم أما جوليا فجرت نفسها وراءهما. إن وسعت المسافة بينها وبينهما فستوفر على نفسها الألم من جراء سماعهما يتحادثان برقة. لم يكن باستطاعتها أن تسمع ما يقولانه ولكنها شعرت بأنه يأسف لوجودها معهما وقد تبين لها ذلك من النظرات التي كان يلقيها عليها من فوق كتفه.

بدا لجوليا مع مرور الأيام أنها خسرت برفضها عرض ليون أكثر مما كانت تتصور وكانت كلما أمعنت التفكير في الأمر ازداد شعورها بغبائها. لأن غاي كان يناور ويعتبرها فرداً من أفراد العائلة لسبب واحد هو عدم رغبته في أن تصبح نجمة سينمائية خشية أن تلوث اسمه بفضيحة ما في المستقبل. لقد عانقها وقد عرفت الآن أن السبب هو إقناعها بالموافقة. ما كان يجب أن تفعله بعد عودتها من نيس أن تتركه ثم تحزم أمتعتها وتعود فوراً إلى نيس، وعندئذ كانت ستترك هذا المنزل الذي يعاملها سيده على أنها مسؤولية ملقاة على عاتقه ويظهر يومياً لا مبالاته.

ما زال يمضي وقتاً طويلاً مع لورين وقد أخذها بنفسه إلى الساحل عندما عاد الولدان إلى البيت.

كانت تقريباً قد نسيت أندريه تيسيه لذا دهشت عندما قابلته في حفلة. ومن الغريب أن الحفلة أقامها بعض أصدقاء لورين التي دعتها لمرافقتها إليها. لم تدهش جوليا عندما علمت أن غاي ذاهب أيضاً ولم يعترض على مرافقة الفتاتين في آنٍ واحد.

أقيمت الحفلة في قصر يعود إلى مصرفي ثري يقيم قرب مرسيليا وعندما وصلوا كان القصر مكتظاً بالمدعوين.

ارتدت جوليا فستاناً أبيض اللون. فكرت أن تشتري شيئاً ملفتاً ولكنها تذكرت غضب غاي في ذلك المساء عندما ارتدت فستان أمها الأسود. بسبب حاجتها للمال اكتفت بما في خزانتها من ثياب. أبرز الفستان الأبيض المقلم وتنورته الواسعة جمال خصرها النحيل، وهذا ما كانت تأمل به. سرحت شعرها الأشقر العسلي حتى أصبح برّاقاً ووضعت قليلاً من الماكياج على جبهتها ووجنتيها وأنفها. لم تضع شيئاً على أهدابها الحريرية ووضعت القليل من أحمر الشفاه. بدا ثغرها ممتلئاً بدون أن يكون ملفتاً للأنظار.

كان مظهر غاي في سترته المخملية الغامقة يقطع الأنفاس، كان يبدو ساحراً ورائعاً ومرهوباً. كان أسمر طويلاً، تسمات وجهه واضحة بصورة تجعل أي امرأة تشعر بالفخر إذا شوهدت معه. كان في هذه الليلة في قمة الأناقة ومع ذلك أدركت جوليا أنها تحبه أكثر عندما يكون راعي بقر جلف.

دهشت لأن أندريه تيسيه كان أحد أوائل الأشخاص الذين رأتهم عندما دخلوا إلى بيت المصرفي الرائع. عندما كان غاي يفلت ذراعها التي كان يمسك بها منذ نزولهم من السيارة نادته «أندريه» بصورة تدعو للاستغراب فكان أن أزعجت لورين.

لم تكن جوليا مستريحة لأنه يمسك بها، الأمر الذي أزعجها كثيراً وجعلها تشعر بالتهديد. رحبت بأندريه عندما تقدم منها بحرارة.

- ما ألطف أن أراك هنا.

أخذها أندريه بعيداً وقد ظهر أنه يعتقد أنها تعني ما قالت:

- كنت أحاول الاتصال بك ولكن كلما اتصلت بالهاتف رد غاي وأخبرني أنك غير موجودة.

لماذا أخبره ذلك؟

- ربما كنت في الخارج فعلاً.

- كيف لي أن أعرف؟ لم أجد عنده الرغبة في التوضيح ولم يدعني

لأحاول الاتصال بك مرة ثانية. ولولا وقوعه بغرام هذه السيدة لورين، لاعتقدت أنه يغار عليك.

أنكرت جوليا وجهدت لتضع على وجهها ابتسامة براقة:

- هو غير غيور بالتأكيد.

ابتسم أندريه بتفاؤل وهو يرغب في تصديقها. لجمال جوليا تأثير ساحر عندما ينظر الشخص إلى البراءة خلفه.

- ربما يبسط حمايته أكثر من اللازم ولكن فايمي تعتقد أنه يغار.

- فايمي؟

- نعم لقد خاب ظنها عندما لم يسمح لك بالعمل مع ليون.

عبست جوليا، لا شك أن ليون وفايمي قد استغربا غضب غاي ولم يستطيعا أن يستنتجا سبباً غير الغيرة.

- حسناً، شاءت الظروف رغم أنف غاي أن نلتقي ثانية مع أني لم أتوقع أن أجدك هنا.

- ما زال والداي مسافرين وقد طلبا مني أن أحل مكانهما. ولكن معظم الضيوف من جيل غير جيلنا، وهذا أحد الأسباب التي جعلتني أسر بلقياك.

اكتشفت جوليا سريعاً أن أندريه مختلف عن بيار فهو أكثر حيوية وأقنع جوليا في الساعة التالية بالتفكير في مشاركته بالعديد من النشاطات ووعدته أن تعلمه متى سنحت لها الفرصة. ستشعر بالخلاص إن ابتعدت عن غاي ولو لعدة أمسيات وإلا لن تنسى حبها له أبداً.

لم تكن قد شاهدته في أي مكان، وكانت وتيرة غزل أندريه قد تضاعفت بحيث اضطرت للبحث عن متسع للتنفس على إحدى الشرفات وهناك وجدت غاي.

مال عليها: أرقصي معي.

ترددت غير راغبة بأن تكون قربه.

- لقد أتيت إلى هنا لأتنشق الهواء البارد.

ابتسم لها وعندما يستعمل غاي جيرارد سحره تصبح جوليا غير قادرة

على مقاومته. من الممكن أن تحتقر نفسها لاحقاً ولكن الظلام الدافىء ووجوده الأسمر يستحيل مقاومتهما.

- إذن، سيري معي.

سألها بعدم اهتمام وهو يقودها من الشرفة نحو الممرات المظللة:

- أين قابلت أندريه تيسيه؟ لا أظن أن لورين من عرفتك به.

- كان موجوداً في بيت فايمي.

- فهمت.

توقف قليلاً فشعرت أن عينيه تبحثان عن عينيها في الظلام.

- هل أنت معجبة به؟

حافظت على ثبات نظرتها لأنها لا تريد أن يعرف غاي أنها لا تبالي بأندريه.

- كيف لي أن أعرف؟ يجب أن أتعرف عليه أكثر.

- هل تريدين ذلك؟

تنهدت جوليا، وتذكرت كيف طرح عليها الأسئلة ذاتها عن بيار ولكنها لا ترغب في تضييع لحظات غالية في التحدث عن رجال آخرين.

- ربما!

انقبض فمه وقال ساخراً: «حسناً لقد أتتك الفرصة لتبسطي جناحيك، فلن تجدي حفلات أرقى من هذه، وهنالك الكثير من الرجال لتختاري بينهم فلماذا تكتفين بأندريه؟»

شحب وجهها:

- لا تبدأ يا غاي، سبق أن قلت لك إني لا أريد الرجال، فرجل واحد فقط يكفي...

سألها بحدة: «من؟»

سحبت نفساً مرتعشاً وشعرت أمامه أنها يافعة جداً وعرضة للتهشيم. بدا أن الواقع يختفي كما يحدث في أكثر الأحيان عندما تكون بمفردها

معه.

- ماذا يحدث لو كنت أنت هذا الرجل؟

تصلب فكه وتجمدت أساريره قبل أن يقرر بوضوح أن يعتبر ما قالته مجرد مزحة.

- هل تحاولين مغازلتي يا جوليا؟

ارتدت كشخص جبان ولم تقدر على النظر إليه.

- لا أجرؤ على ذلك. أحياناً عندما تضايقني أقول أشياء فقط لأزعجك.

ضحك وكأنه لا يميل إلى تصديقها:

- لماذا لا تكونين شجاعة؟

كان يسخر منها. أحست بالشيطان في صوته وفي عينيه البراقتين. آلمتها سخريته ولكنها وقفت في مكانها. لماذا لا تغازله؟ كانت تغرق في ردات فعلها عندما يعانقها غاي بصورة لا تستطيع التحكم بها ولكن غريزتها الأنثوية أخبرتها أنه ليس غير مبال تجاهها كما يدعي.

تعمدت أن تميل عليه وأخفضت صوتها ووضعت يديها خلف عنقه:

- غاي؟ ما الذي يجب أن أفعله؟

لم تتوقع أن يأخذ تصرفاتها على محمل الجد. ولكن لما حاولت التملص وقد أصابها جزع مفاجىء، لم يسمح لها بأفكار ثانية.

تمتم وهو يحني رأسه: أوه لا، لن تفلتي.

كان عناقه لها مختلفاً وبدا أن مشاعرهما قد التحمت بقوة. أكد لها عقلها الحائر أن ما بينهما من شعور لا يطفئه شيء أبداً.

شدد عناقه لها ولكنهما قوطعا عندما نادته لورين:

- غاي، حبيبي! أين أنت؟

ارتعشت جوليا عندما خطا مبتعداً عنها. فضحت سهولة تحركه مدى حرجه وأشعرها ذلك بالهوان.

اعترفت جوليا لنفسها أن لديها سبباً يجعلها تشكر لورين، التي

اندفعت إليهما وهي تثرثر بقصة عن رغبة مضيفهم في التحدث إلى غاي. عندما عادا وجدا لبه برون محاطاً بضيوفه ولكن لم يبدُ أنه تذكر أي أمر مستعجل يريد أن يناقشه مع أحد! ربما اكتشف غاي ذلك، لأنه عاد مباشرة إلى البيت بدون استعجال. لاحظت جوليا أنه حين اكتشف دوافع لعبة لورين استغل الفرصة شاكراً.

حدقت إلى خطوط رأسه القاسية والساحرة لأنها كانت تجلس كعادتها في حضور لورين في مقعد السيارة الخلفي: إن غاي رجل يملك عواطف عميقة.

عندما اتصل أندريه بها ثانية ليدعوها إلى حفلة، قبلت الدعوة وقد عرفت أخيراً أن هناك طريقة واحدة تستطيع بها مساعدة نفسها، وإن لم تنجح في ذلك فعلى الأقل ستستريح لأنها تعرف أنها حاولت.

ـ هل استمتعت بالحفلة؟

بعدما أرجعها أندريه إلى المنزل، أوقفها صوت غاي في الساعة الثانية من بعد منتصف إحدى الليالي. خرج من غرفة مكتبه قاطعاً عليها الطريق فتوقفت في أسفل الدرج.

وضعت يديها على شعرها المتناثر بحركة دفاعية. ولاحظت أنه غير مرتب، بسبب سيارة أندريه الرياضية المفتوحة ونسيانها الوشاح الذي تضعه على شعرها.

ـ أحمر الشفاه بحاجة إلى التصليح أيضاً.

تورد وجهها وحدقت إليه باشمئزاز.

ـ السبب أني لم أجدد وضعه منذ تركت المنزل.

ـ أليس السبب وداع أندريه المشبوب؟

كانت نظراته مسلطة عليها بنفور. امتعضت وفي الوقت ذاته ثار غضبها.

ـ إن ذهاب لورين لا يعني أن نعيش جميعاً مثل الضفادع.

ـ يا إلهي! لو كنت أظن أنك تتكلمين بجد!

صعدت درجة أخرى، فوفر لها ذلك مسافة جعلتها في مأمن منه وأعطاها قامة تماثل قامته في الطول ولكنها ندمت لأنها تحركت إذ استطاعت أن ترى بوضوح أكثر الغضب في عينيه.

لم يكن بإمكانها الاستمرار في الجدال فقالت كأي جبان:

ـ أنا تعبة يا غاي.

ـ أتساءل عن السبب.

إنه يعرف كيف يؤذي، ألم يفعل ذلك الآن من خلال نظراته المحقرة؟ صرخت به وقد أعماها الغضب:

ـ يجب ألا تحكم علينا جميعاً حسب معاييرك.

ـ ماذا تقولين أيتها الصغيرة...

امتدت يده لتمسك بها بغضب واضح يشير إلى عدم مبالاته بالنتائج المتوخاة.. هرعت هورتنس إلى أعلى الدرج وأشارت بيديها:

ـ سيدي غاي لقد انتابت المدام أوجاع الرأس. تركتها للتو وهي تنام عميقاً ولكن لا أعرف كم سيطول إذا استمرت النوبة.

عندما وصلت إلى غرفة نومها تساءلت جوليا كم سيطول نومها، وكانت قد استغلت فرصة وجود مدبرة البيت لتهرب من قوة غضبه. رفضت أن تفكر في ما كان سيحدث عندما تذكرت الغضب الجامح في عينيه. لا يحق لغاي أن يتهمها بالتصرف المبتذل مع الرجال الذين تخرج معهم، ولكن كيف تستطيع أن تتهمه بإهانتها عندما ترد عليه بإهانة مماثلة؟

شعرت فجأة بالإرهاق فبدلت ثيابها وارتمت على فراشها وأجهشت بالبكاء.

* * *

٦ ـ انتهى الدرس يا غبية!

بعد رحيل لورين والولدين أصبح المنزل هادئاً هدوءاً يجعل شخصاً قلقاً يغرق في أفكاره. شغلت جوليا نفسها بمساعدة هورتنس وخالتها، ولكنها عانت من فترات وحدة طويلة عندما كانت مافيز تستريح. تزايد اهتمام اندريه بها وهي شجعته ولاحظت أنها تستغله كسلوى في الوقت ذاته. كانت تمر عليها فترات تشعر فيها أنها غير قادرة على تحمل الضغوط الغامضة التي تنمو وكانت تستغل أندريه وسيلة للابتعاد.

ظلت تخرج معه رغم عدم موافقة غاي. كان رفيقاً طيباً ولم يكن يشتكي منها لأنها تشعر أحياناً بأنها رفيقة غير طيبة مثله. عند أندريه القليل من وقار بيار ولكنه لم يعترض عندما كانت ترفض معانقته. ما أظهره من احترام لها جعلها تشك في أنه بدأ يفكر فيها بشكل جاد ولذلك لم تتفاجأ عندما طلب يدها للزواج. أعادها إلى المنزل في إحدى الأمسيات وفي وقت متأخر كالعادة وكانت شبه نائمة عندما تقدم بطلب يدها. قال لها برقة وثقة كشفت بصورة منذرة أن آماله كلها معلقة بقبولها:

ـ أوراق اعتمادي يا عزيزتي جيدة وأستطيع أن أكون زوجاً صالحاً يا حبيبتي، بل قد أكون من أفضل الأزواج.

أعادها هذا الكلام إلى وعيها الكامل. فغرت فاها وغمزته وهي تأمل أن يكون ذلك مجرد حلم:

ـ كم الساعة؟

ابتسم اندريه:

ـ هل الوقت مهم عندما يتقدم الرجل بطلب يد فتاة ما؟ ومن المؤكد أن شيء قد نتج عندما أخبر فتاة بأني أحبها؟

جعل المسألة سهلة بسيطة. فكرت جوليا أن هناك عثرة واحدة، ليس هو الرجل المناسب لها. ولكن الرجل الذي تريده لا يريدها، وكأنها تطلب القمر وتضيع حياتها بانتظاره ومع ذلك لم تستطع أن تجبر نفسها على قبول طلب أندريه.

اعترضت: لم أقابل والديك حتى الآن.

ـ جوليا، لست مضطراً لأخذ الإذن منهما أو الأخذ برأيهما.

ابتسمت له بضعف. إنه يقارب الثلاثين من عمره، إن أمه حسب الإشاعات التي سمعتها تضحي بالغالي والرخيص لتراه متزوجاً من أي فتاة.

ضحك أندريه وكأنه يقرأ أفكارها:

ـ يرضى والدي بأي فتاة. المهم عندهما أن أستقر وأنجب لهما أحفاداً يحفظون ذريتنا.

حتى ما كان يعجبها في أندريه، روح المرح عنده مع أنها بعض الأحيان تكون غير لطيفة.

عقدت يديها فجأة وقد أدهشها أن لا تستطيع التفكير في الزواج برجل لا تحبه. لم يكون الوضع عادلاً لهما، ومع ذلك فهذه الفرصة الوحيدة التي تمكنها من الهروب من غاي. يجب ألا ترفض.

ـ أمهلني بعض الوقت! لماذا لا ننتظر حتى عودة والديك إلى البيت؟

ـ أنت لم تشاهدي بيتي.

لم تشاهده ولم يكن يسألها. فانتظرت ليتابع:

ـ بيتي قريب من مزرعة غاي الأخرى في وادي الرون حيث الشؤون الزراعية هي مدار الأحاديث. هل تعرفين الكثير عن الزراعة في الكوت دي رون؟

سرت لما اعتبرته تغيراً في مجرى الحديث وأجابت بحماسة:

ـ ليس كثيراً ولكني أحب أن أتعلم.

ـ هنالك أمور كثيرة يجب تعلمها.

ـ أستطيع أن أساعد.

ـ تساعدين؟

ـ وقت الحصاد، أهذا ما يطلقون على قطف العنب؟

أصابت الحيرة جوليا وهي تشاهد أندريه يرجع رأسه ويضحك.

ـ يا جميلتي! أعبدك! أنا أقدم لك قلبي وروحي وأنت مهتمة بالعنب أكثر من اهتمامك بي.

أمسك بها وعانقها فجأة وكأنه يبرهن قلة اهتمامه بالموضوع.

انتفضت جوليا بردة فعل سريعة وبدا أن أندريه أساء فهم حركتها واعتبرها قلقاً. تمتم برقة:

ـ خجولة جداً. ولكني أستطيع الانتظار.

لماذا يجب أن ينتظر؟ هذا ما فكرت فيه جوليا بكآبة في الأيام التالية خاصة وهي تتحمل سلاطة لسان غاي. لقد أصبح مزاجه أسوأ مؤخراً، كانت تشعر أحياناً أنها تعيش على حافة بركان. البارحة مثلاً سحبها عن حصانها أمام رجاله فكادت تحترق وجنتاها من شدة الخجل، وكل ذلك لأنها لم تتوقع العاصفة التي كانت على وشك الهبوب. وبعد ذلك لم يعتذر مع أن العاصفة لم تهب بل اكتفى فقط بالرد الحاد عندما عاتبته قائلاً:

ـ كان من المحتمل أن تهب.

كان الطقس حاراً فأدركت أن العاصفة، وإن كانت نادرة الحدوث في هذه الأصقاع، ستكون مدمرة. ولكنها كانت متأكدة أن غاي لا يحتاج إلى مثل هذه القسوة معها.

عللت السبب إلى افتقاده لورين. أصبحت جوليا تتخيل شتى الأمور فتصورت أن لورين أنذرت غاي قائلة: «تخلص من ابنة خالتك، التي ليست بالحقيقة ابنة خالتك، وإلا لن أتزوجك». والحل بنظر جوليا البائسة هو أن تحل غاي من وعد يشعره بالندم يومياً، وذلك بالزواج برجل يحبها حباً يجعلها لا تلاحظ أنها لا تحبه. يجب أن يكون غرام أندريه بها أكثر من

كاف لكليهما.

في الواقع كان غاي ذاهباً إلى مزرعته الأخرى لبضعة أيام. قال لها أندريه على الهاتف عندما أخبرته:

ـ لماذا لا تأتين معه وتبقين معنا؟ سيكون والداي قد رجعا ويمكنك أيضاً اكتشاف كل أسرار زراعة الكرمة.

فكرت في أنها إذا ذهبت فسيطلب منها جواباً شافياً على طلبه، وهو قرار استمرت بتأجيله كثيراً. أجابته بلا حماس:

ـ لن يحين موسم القطاف حتى أيلول.

رد عليها بصراحة.

ـ يجب أن نقرر أموراً أخرى حتى ذلك الحين.

ـ سأسأل غاي.

رفض غاي بشدة: «لا!»

«لِمَ لا؟» توسلت جوليا وهي تمسك أعصابها. الرجل الذي كان متسامحاً كثيراً في السابق بات عديم الصبر بصورة متزايدة.

ـ لأسباب لا أريد أن أوضحها. لم يقابلك والدا أندريه حتى الساعة وهما مسافران.

ـ إنهما في طريق العودة.

ـ وإن لم يعودا في الوقت الذي تصلين إلى هناك؟

شمخت ذقنها الساحرة بعناد:

ـ حسناً، وماذا يهم؟ سيكون هناك آخرين.

ـ ربما، ولكن ذلك ليس مؤكداً. لذا لن أعرضك إلى هذا النوع من المخاطرة.

تذمرت وهي تتساءل ببؤس لماذا لا يعرف أنها تفعل كل ذلك من أجله.

ـ تتصرف كأحرق.

أساءت اختيار كلماتها بوضوح ولكنه لم يؤنبها مباشرة.

ـ لا، لا أستطيع توفير الوقت أو المال الذي يتطلبه حفل زواج فوري،

الأمر الذي سيحصل إذا أمضيت الليل بمفردك مع أندريه تيسيه.

ـ لن يحدث شيء من هذا. ماذا تظنني؟ لست امرأة فاسقة.

ـ هذا ما سيظنه الناس لو قضيت ليلتك في بيت رجل أعزب.

ـ أنت رجل رجعي التفكير.

تنقلت عيناه ببرودة على وجهها الأحمر العنيد.

ـ ربما أنا هكذا، ولكن لو حدث وأشار جميع من في المقاطعة إلى تصرفاتك اللاأخلاقية لتمنيت حينها لو أخذت بنصيحتي.

سحبت نفساً عميقاً وعيناها تطلقان الشرر:

ـ هكذا إذن! إن عاندتك وبقيت عند أندريه فقد أوصم بالعار؟

لان صوته قليلاً:

ـ ليس تماماً، إن ارتبط شخصان من أجل الزواج فالناس ينسون ويتسامحون، ولكن إن كان الأمر بلا هدف... وأنا آمرك بألا تفعلي!

لازمت جوليا غرفتها بقية النهار وكانت تشعر بالمرض من شدة بؤسها. رأت بوضوح القرار الذي يجب أن تتخذه، ومع أنه آخر ما تود القيام به. أدركت أن لا بديل عندها إلا أن تخبر غاي عن تقدم أندريه بطلب يدها وتعلن أنها قبلت الزواج به. كان عليها أن تخبر غاي هذا الصباح ولكنها عوضاً عن ذلك حاولت بغباء أن تتفادى توربط نفسها. لا جدوى من وضع رأسها في الرمال أطول من ذلك. يجب أن تستجمع كل ما تستطيع من شجاعة وتستعملها إلا إذا أرادت البقاء هنا ومشاهدة غاي يتزوج بلورين.

بحثت عن غاي في أول المساء ووجدته في أحد مخازن الحبوب. كانت أبوابه مشرعة تدخل منها أشعة الشمس، أما مؤخرة المخزن فكانت مظللة في الأماكن التي لا تصلها أشعة الشمس. ظنت أنه غير موجود هناك. تقدمت باتجاه مصدر الصوت فإذا هو يقف مستنداً إلى أحد الأعمدة السوداء القديمة.

ـ غاي!

ـ جوليا! هل تبحثين عني؟

ألا يعرف كم تبحث عنه؟ أغمضت عينيها عندما أحست بموجة من العواطف تجتاحها. أومأت برأسها.

ـ إذن استظلي من أشعة الشمس.

تقدمت ببطء وتوقفت قربه ولكنها شعرت فجأة أن حرارتها قد ارتفعت: يجب أن أحادثك.

أجابها بلا مبالاة لأنه سمع منها ما يكفي في يوم واحد: أنا مشغول.

ـ إن هذا لمشجع!

سألها بصورة جافة:

ـ ألا يمكن لهذا الأمر الذي تريدين التحدث به الانتظار؟ أشك بعدما حدث هذا الصباح أن نكون في مزاج لنتعاطف.

وافقته جوليا الرأي ولكنها قررت أن تخبره بقرارها.

ـ لقد قررت أن أتزوج أندريه يا سيد.

ظلّ صامتاً وقد تجاهل طريقة كلامها الرسمية التي تستعملها. لاحظت جوليا أن وجهه شحب شحوباً شديداً.. حدق إليها للحظة شحونة ثم قال: لا أعتقد ذلك.

غلبت حيرتها غضبها واتسعت عيناها:

ـ أنت.. لا تعتقد ذلك؟ ولكن يا سيد، ألم يكن تزويجي فكرتك أنت؟ لقد قلت لي عندما وصلت...

قاطعها بصوت حاد كالسكين:

ـ هل تكلمت مع أندريه اليوم؟

ـ لا..

ـ إذن، أظنك تخترعين هذه القصة وإلا ذكرت الموضوع قبل الآن. كنت ستخبرينني حينئذ عن أمر الزواج بدل الثرثرة عن ذهابك للبقاء معه.

اعترضت: ولكنه طلب يدي، وكنت أفكر في الأمر.

ـ إذا أعيدي التفكير في الأمر ثانية.

ـ يا سيد.....!

ـ لا تنادني بهذا اللقب السخيف، وكفي عن محاولة استغبائي. لقد

لزمت غرفتك ساعات ولم تنزلي لتناول طعام الغداء. أعتقد أنك كنت منهمكة في تخطيط تحركك القادم. لم يطلب منك أندريه أن تتزوجيه ولكنك قررت أن تلوي التحذير الذي أعطيتك إياه لمصلحتك. وأنت الآن تحاولين خداعي لأسمح لك بزيارته وتأملين بالضغط عليه ليتزوجك، وهذا سيوفر بالطبع كل الحوافز التي تتمناها روحك الصغيرة السطحية.

ـ كيف تجرؤ على قول هذا؟

ضحك غاي على تعابير وجهها المصدوم:

ـ يا إلهي، ما أقدرك على التمثيل! كان يجب أن أدع لبون يأخذك.

أمسك يدها بوحشية عندما رفعتها لتصفع وجهه الساخر ولكنها لم تشعر بالألم.

ـ لقد طلب أندريه يدي فعلاً...

ـ ماذا؟

ـ وطلب مني أن أزوره أيضاً. باستطاعتك أن تهنئني كيفما شئت.

ـ ألا تظنين أني كنت سأحقق في الأمر؟

سحبت جوليا نفساً عميقاً ووجدت هذا الحديث المرير مرهقاً:

ـ أعطيك الإذن لتحقق كما تريد.

ـ أنت تجابهين خدعتي، أليس كذلك؟ ربما أنت على حق ولسوء الحظ أنت في هذه اللحظة ماكرة جداً. إذا سألت أندريه إذا كان حقاً قد تقدم إلى من هي تحت وصايتي فذلك يضعني ويضع أندريه في موقف محرج. ربما لديه نوايا معينة لا يرغب أن يرددها على مسامعي!

تنهدت جوليا وشعرت فجأة أنها من البؤس بحيث تعجز عن الاستمرار في الجدال.

ـ لقد أسأت فهم كل شيء..

ـ ربما بعضها، هنالك جوانب كثيرة للعلاقات ولا أدعي أني خبير بها. ولكن ليست لدي رغبة لأسمع المزيد عن علاقاتك مع الرجال الآخرين، ليس وأنا ما أزال مسؤولاً عنك.

ـ هل هذا يعني أني لا أستطيع الخروج مع أحد؟

برقت عيناه فيما كان يدفع يدها بعيداً ويمشي متجاوزاً إياها.

ـ أخرجي مع من تشائين طالما تستثنينني من التفاصيل!

عادت جوليا إلى غرفتها وهي حائرة كلياً. كان وجهها شاحباً جداً، وعندما جاءت هورتنس لتدعوها إلى تناول العشاء قالت إنها ما تزال متوعكة ولا تريد تناول طعام العشاء فاحتجت هورتنس قائلة إن امتناعها عن الأكل سيزيد الأمر سوءاً، فوافقت على تناول الحساء والقهوة في غرفتها.

في الأيام التالية دفع اليأس جوليا إلى ابتكار خطة لم تكن لتفكر فيها لولا ذلك. تجاهلها غاي بأشمئزاز مع أنها استأنفت تناول الوجبات في غرفة الطعام وصممت أن تتصرف بصورة عادية. لم يتغير مزاج غاي ولم يتجاوب معها عندما كانت تحاول أن تكون ودودة.. أحياناً كان يحملق فيها ببرودة تجعلها متأكدة من كراهيته لها.

وجعلتها لورين تشعر بمرارة شديدة أيضاً. صدف في أحد الأيام أن تناولت الهاتف عندما رن وكانت لورين على الطرف الآخر، ولما عرضت عليها أن تنادي غاي منعتها لورين بحدة عن ذلك. ثم أمطرتها بوابل من السباب بعدما أخبرتها أنها لم تتصل لتتحدث مع غاي مما فرض على جوليا أن تصغي إلى لورين وهي تتهمها بأنها مزعجة كثيراً وأن غاي على وشك أن يفقد أعصابه بسببها.

وجدت جوليا أن من المستحيل عليها أن تعير لورين اهتماماً.. ولكن غضبها وألمها ازدادا ثم فجأة أدركت ما يجب أن تفعله. أتتها الفكرة ليلاً وهي راقدة على فراشها تجفف الدموع التي على خديها. قد يكون ذلك خداعاً ولكنها الوسيلة الوحيدة التي استطاعت التفكير فيها وتضمن لها الفرار.

كان غاي مغادراً في اليوم التالي إلى مزرعته الأخرى في وادي الرون فقررت أن تذهب معه بدون علمه. ستختبىء في مؤخرة الشاحنة التي سيقودها. لقد سمعته يخبر مافيز على العشاء أنه يأمل في التمكن من السفر الليلة القادمة.

وقد طابق ذلك خطة جوليا الأولية، لأنها عزمت على الاختباء في مؤخرة الشاحنة بعدما تتظاهر أنها ستمضي الليل مع صديقة لها ستأتي لتقلها. ثم عندما يصلون إلى بيته هناك ستتسلل جوليا وتختبىء. لقد ذكرت مافيز أن الشخص الوحيد الذي يأتي إلى البيت هو زوجة مراقب العمال التي تعد الطعام لغاي عندما يطلب منها ذلك.

كانت جوليا مصممة على دخول البيت بطريقة ما والبقاء بعيداً عن الأنظار حتى الصباح التالي. كانت غير متأكدة مما ستفعله بعد ذلك. تمنت ألا تخونها أعصابها عندما تتسلل إلى سرير غاي بعد خروجه وتفسح المجال لزوجة المراقب أن تراها في هذه الحالة عندما تأتي لترتب غرفته بعد الفطور.

ولم تكن متأكدة مما قد يحدث بعد ذلك ولكن إذا كان كل ما قاله غاي صادقاً، فسيترتب عليه إما أن يتزوجها وإما أن يتخلص منها. ابتسمت جوليا لنفسها بتجهم وهي تشعر بشيء من الانتصار. وبما أنه لن يتزوجها أبداً يبقى المخرج الوحيد أمامه التخلص منها. فضلت عدم التفكير بغضبه الشديد وأقنعت نفسها بأنه قد يكون من السهل إقناعه بإقراضها مالاً تعيده له عندما تجد عملاً.

لو كان اليوم التالي يوماً اعتيادياً وكان عندها وقت أطول لتفكر في الأمر، لشكت جوليا في قدرتها على الإقدام على هذه الخطة المتهورة. ولكن جرت الأمور بشكل جعلها منشغلة طوال الصباح وتحدثت مافيز معها عن حفلة أملت أن تقيمها بمناسبة مجيء مهرجان أفينيون الشهير في تموز.

ـ ستتمتعين بها يا عزيزتي، أنا سعيدة لأنك ستكونين موجودة.

نادراً ما كانت مافيز تخرج من البيت وشعرت جوليا بالدموع تترقرق في مآقيها. سألتها وهي تتوق كالعادة للتكلم عنه.

أومأت مافيز برأسها:

ـ أحياناً وأعتقد أن لورين ستذهب معه هذه السنة وإن حدث أن ذهبت معه يخيل إليّ أنه لن يمضي وقت طويل قبل أن تعلن خطوبتهما.

كان هذا كافياً ليزيل آخر الشكوك من ذهن جوليا بالنسبة لحكمة ما خططت له ولكن للغرابة! حتى القدر بدا ميالاً إلى مساعدتها. قررت بعد تناول الغداء أن تستريح خشية أن تنام في شاحنة غاي وهو أمر لا تجرؤ على المخاطرة به. استيقظت متأخرة وكانت قد نامت مدة أطول مما عزمت عليه. ولكن عندما هرعت إلى الطابق السفلي لم تجد أن غاي قد ذهب وشعرت بالفرح عندما أخبرتها مافيز أنه استدعي لأمر طارىء وعندما يعود سينطلق فوراً إلى إيجيان.

تظاهرت فيما بعد أنها ستعبر الطريق لملاقاة الصديقة التي ستقلها. اختارت وقتاً كانت تعرف أن العمال سيكونون فيه غائبين وهذا سيسمح لها بالعثور على شاحنة غاي والاختباء فيها تحت كومة من الأكياس القديمة. وجدت الأكياس جافة ومليئة بالغبار فأثار الغبار حساسية أنفها.

خططت لكل شيء إلا التوتر الذي أصيبت به من جراء انتظار وصول غاي. شعرت أن الساعة التي انتظرتها كانت خمس ساعات.. بدأت جوليا تندم على ما تفعله قبل أن يقطعا مسافة طويلة بسبب أعصابها المشدودة ووضعها غير المريح وخوفها من أن تصاب بتشنج عضلي. لم يكن بمقدورها متابعة الأمر لو لم تذكر نفسها أن غاي على وشك الزواج بلورين.

قاد السيارة بلا توقف، ومع ذلك كان الوقت قد أصبح متأخراً عندما وصلا إلى ايجيان. قاومت جوليا كل رغبة للنظر إليه خشية أن يسمعها إذا تحركت. أتعبها التوتر كثيراً وتساءلت إن كانت على وشك أن تمرض وبسبب الخوف الذي اعتراها فجأة من هذه الفكرة وضعت يديها المرتعشتين على فمها لئلا يسمعها.

ما كاد غاي يترجل من السيارة حتى انطلقت أصوات ترحب به. تجرأت على فتح ثغرة بين الأكياس التي تغطيها وسمعت رجلاً يتحدث إليه. عرفت أن امرأة تدعى مونيك قد جهزت له وجبة الطعام في بيتهما لأنهما توقعا أن يصل جائعاً.

سمعت غاي يشكره وأقرّ أنه جائع وأنه يقدر الجهد الذي بذلته

مونيك. عرفت جوليا من النبرة الدافئة في صوته أنه يحترم جداً برنار ـ الاسم الذي ناداه به ـ وزوجته. ارتعشت جوليا بسبب الفرح الذي شعرت به عندما استفهم عن إنزال حمولة الشاحنة ورد عليه غاي أن لا شيء هناك لا يمكن تأجيله حتى الصباح. كانت تلك إحدى اللحظات التي كانت تخشاها، فلو أعطى غاي أوامره بإنزال الحمولة لاكتشف أمرها سريعاً.

تحركت جوليا بتروٍ عندما تلاشى الصوت ونظرت إلى ما حولها بحذر. لم يكن ضوء القمر مشعاً لذلك لم تستطع الرؤية إلا قليلاً. بدا البيت كبيراً ومظلماً وأشبه بالقصور. انتظرت حتى تأكدت من ذهاب غاي وبرنار ثم تسللت إلى البيت.

كان ذلك أسهل مما توقعت. لم يكن الباب مقفلاً فأغلقته سريعاً خلفها. كان الظلام مخيماً على القاعة الكبيرة ومع ذلك لم تشعر بالغربة أو الوحشة. تسللت إلى الطابق العلوي بعدما اعتادت عيناها على الظلمة متلمسة الدرج على ضوء القمر. كان قلبها ينبض بشدة عندما وصلت إلى أعلى الدرج. أصابها الجزع فجأة عندما أدركت أنها لا تعرف أي من الغرف هي غرفة نوم غاي.

لعنت غباءها وراحت تحدق حولها محاولة اختراق الظلام. كان من السهل أن تحصل على هذه المعلومات من مافيز لو كانت لبقة. الأمر ليس فقط في العثور على مكان تنام فيه بل هو أن تعرف أين ينام غاي لتستطيع بسهولة العثور على غرفته في الصباح.

عثرت على غرفته، لحسن الحظ، أولاً. وكان واضحاً أنها غرفة النوم الرئيسية، السرير مرتب والشراشف مطوية كأنها تنتظره. ولم تتابع البحث. ثم عثرت على غرفة صغيرة لنفسها تقع في الطرف الآخر من الردهة قربها حمام، في الغرفة سرير صغير مغطى ببطانية واحدة وطاولة زينة ومرآة. كانت شبه خالية ومفروشة ببساطة.

كانت ترتعش ثانية من توتر أعصابها عندما انتهت من الاستحمام. وكانت من الخوف بحيث جلست على الأرض وأسندت باب غرفتها بظهرها خشية أن يخطر على باله إلقاء نظرة على البيت قبل أن يأوي إلى

الفراش. شعرت الآن وقد ذهبت بعيداً في خطتها أن شجاعتها تضمحل بسرعة ولم تعد متأكدة أن عندها ما يكفي لتستمر في خطتها حتى الصباح.

سمعته يدخل إلى البيت بعد منتصف الليل. تناهى لمسمعيها وقع خطواته الرشيقة وهو يصعد الدرج وتنفست الصعداء عندما أغلق باب غرفته خلفه واستلقت على الفراش وقد التفت ببطانية دافئة.

لاحقاً عندما أوقظها شيء ما، لم تعِ فوراً أين هي. لم تع إلا شعورها بالخطر. كانت عيناها ما تزالان مغمضتين. عندما فتحت عينيها شاهدت غاي واقفاً بالباب يراقبها فتقابلت نظراتها المذعورة مع نظراته.

سألها بصراحة:

ـ هل لي أن أعرف تفسيراً مناسباً لهذا؟

ابتلعت ريقها عدة مرات قبل أن تستطيع الإجابة، بدا أن كل جزء فيها قد تجمد وللحظة بدا أن لا صلة لسؤاله بالموضوع. وجدت نفسها تسأله بصوت أجش عوضاً عن أن تجيبه:

ـ كيف اكتشفت أني هنا؟

أجابها عن سؤالها أولاً مع أن غضبه واضح.

ـ حدسي! لقد استيقظت يتملكني شعور بوجود شيء ما غلط. وفجأة أدركت أني لست بمفردي في البيت، وعندما فتحت باب غرفتي سمعت شخيراً أكد لي شكوكي. لا بد أن الغبار الذي تنشقته في مؤخرة الشاحنة يزعجك.

تجولت نظراته عليها باشمئزاز فتذكرت كم هي صغيرة. لفت نفسها بالبطانية.

ـ ما دمت تعرف هذا، فلماذا تكلف نفسك السؤال؟

وضع غاي يديه في جيبي سرواله واستند بجسمه الصلب إلى أكرة الباب بدون أن يزيح نظرته المحدقة إلى وجهها.

ـ أنا أسأل لماذا.. وليس كيف.

نظرت إليه بغضب من فوق البطانية. كان يرتدي ملابساً قديمة تظهر عضلاته المفتولة. بدأ قلبها بالخفقان غير المنتظم وكأن رجولته السمراء

ضربتها على رأسها. تمتمت وهي تحاول أن تخفي مشاعرها بهز كتفيها بلامبالاة:

ـ ربما أتيت للتنزه...

فكرت أن لدى غاي كل الحق في أن يغضب منها. لو كان عندها ذرة إدراك لبقيت مستيقظة وعلى الأقل طمرت نفسها تحت البطانية وكتمت الصوت.

قال لها بلطف مخادع:

ـ إذن أتيت من أجل التنزه؟

ـ لِمَ لا؟

ـ لقد أخبرت مافيز أنك ذاهبة إلى حفلة يقيمها آل رينود وأنك ستمضين الليل هناك.

ـ أعرف ذلك...

شعرت حقاً بالخجل من هذا التصرف ولكن ما كان يشغل بالها أكثر من أي شيء في هذه اللحظة هو مشكلة إيجاد مبرر مقنع، ليس لخداع مافيز بل لوجودها هنا. لم تكن من الغباء بحيث تصدق أن غاي سيقبل فكرة أنها أتت إلى هنا لمجرد اللهو فقط.

ـ كنت سأتأكد من صحة كلامك لو لم أكن في عجلة من أمري، ولكن أعتقد أنك كنت مستعدة للقيام بهذه المخاطرة؟

ـ لم أعتقد أنك ستهتم إلى درجة أن تزعج نفسك.

جعل كل نبضة في عروقها تقفز عندما ترك موقعه على الباب وتقدم منها ليجلس على حافة السرير.

ـ صح! هذا يزيل الأمور التافهة عن الطريق. وهكذا أستطيع أن أركز على الأمور الأساسية. وأنا أريد الحقيقة؟

ـ الحقيقة؟

تلعثمت وهي تحدق إليه بخوف، كان قلبها ما يزال يخفق ورعبها الشديد ما يزال يتضاعف. كان باستطاعتها أن تشاهد صدره وهو يعلو ويهبط وكأنه يكتم غضبه بصعوبة.

انتفض وكان واضحاً أنه لن يرحمها على المأزق الذي زجت نفسها فيه.

ـ ألم يسبق أن سمعت بها؟

بدا أن هنالك تفسيراً واحداً يمكنها الإصرار عليه ولكنه حجة ضعيفة.

ـ إذا كان يجب أن تعرف... اعتراني الفضول لأشاهد طبيعة المكان الذي تملكه هنا.

ـ هل تظنين أني غبي؟

ارتدت حتى التصقت بالجدار. شعرت بالعجز لأنها غير قادرة على إخباره بالحقيقة. ثم أخرسها اتهام غاي الذي أخذها على حين غرة.

ـ لقد أتيت لرؤية تيسيه، أليس كذلك؟ هل ستذهبين إلى منزله؟

ـ لا!

فغرت فاها ثم تساءلت إن كان سيحاول منعها لو توسلت إليه ليسمح لها بالذهاب إلى غرفة الحمام، لتقفل الباب عليها وتتسلق النافذة وتهرب بكل بساطة.

ـ لو كنت مكانك لما حاولت.

لم يكن لديها وسيلة لتعرف كيف قرأ أفكارها، فنظرت إليه بصمت. بدا فجأة خطراً، كان شعره أشعث وقسماته المنحوتة بدت أقسى وأصلب من أي وقت مضى.

عندما لم ترد عليه واكتفت بالتحديق إليه بكسل، انحنى عليها وعيناه الكبيرتان تغطيان وجهها وقال موبخاً:

ـ لماذا تريدين الذهاب إلى منزل أندريه؟ أمن أجل الحب أو الإثارة أو العبث؟

* * *

ـ لا تقلق! ليس هناك ما يدعو لتقلق. لم آتِ إلى هنا من أجل العبث وما شابه. اسمع قراري الأخير يا غاي سأرحل من هنا فإياك أن تعترض.

تكلم برقة ولكن لهجة الأمر في صوته أخرستها:

ـ جوليا، أصغي إليّ من فضلك. سنرحل كلينا والأفضل أن نسرع. هل تظنين أني قد أسمح لك بالذهاب بمفردك؟ أنا نازل إلى الطابق السفلي فاتبعيني إلى هناك.

عندما وصلت إلى الطابق السفلي شاهدته يخرج من المطبخ وبيده كوب من القهوة الساخنة:

ـ اشربي هذا، لا بد أنك بحاجة إليه فأمامنا رحلة ثانية طويلة.

أمسكت الكوب بيد مرتجفة ونظرت إليه: نحن؟

أخذ بعناية ورقة من جيبه ووضعها على طاولة قريبة.

ـ هذه مذكرة إلى مونيك ستجدها في الصباح عندما تأتي لترتب البيت. كتبت لها فيها أنني قررت العودة إلى المزرعة لأسباب خاصة حيث سأتغيب عدة أيام قبل أن أعود إلى هنا.

توقف عن الكلام ثم تابع وهو يحدق مباشرة إلى جوليا:

ـ وأضفت أيضاً.. لأقضي شهر العسل.

ترنحت جوليا وزال اللون عن وجهها، يا إلهي! انتحبت في داخلها، لقد قرر أن يتزوج لورين أخيراً وسيعود معها إلى هنا.

همست: «نعود مع لورين؟».

رد عليها متفضاً: بل معك أنت.

تألمت بصورة لا تصدق على هذه النكتة القاسية:

ـ معي أنا؟ هل أنت مدرك لما تقوله؟

ـ أنا مدرك ذلك كل الإدراك. يجب أن تفهمي أنك ستصبحين عروسي. سنعود إلى المزرعة حالاً وهناك سأدعي أنني أخذتك من حفلة آل رينود ثم سأوضح أنني لا أستطيع البقاء بدونك أكثر من ذلك وأننا سنتزوج فوراً.

كان هذا كثيراً جداً.

ـ لماذا؟ لماذا تريد الزواج بي؟

ـ إنه الحل الوحيد لأبعدك عن العار الذي تسعين إليه بعلاقتك مع أندريه.

ـ العار؟ أي عار هذا؟ صدقني ما كنت لأفعل ما يسيء إلى سمعتك.

ـ أشك في هذا.

ـ وماذا عن لورين؟

ـ لم أبحث قط أمر الزواج مع لورين.

كادت الهستيريا تسيطر عليها وقاومت لاحتوائها.

ـ هذا لا يعني أنك لا تعتزم ذلك.

أخذ الكوب الفارغة من يدها وضاقت نظراته على وجهها.

ـ انتظري لأغسل الكوب وأضعه في مكانه.

راقبته جوليا وقد اسودت عيناها من البؤس، كان يزيل أي شيء يدل على أنها كانت في البيت ولم تكن عنده النية للإجابة عن أسئلة أخرى تتعلق بلورين.

طأطأت رأسها عاجزة وشعرت بأنها دُمرت تدميراً. لقد عرض عليها الزواج وهذا ما لا تكاد تصدقه. نعم لا تنكر أنها جاءت إلى هنا لتضعه بين أمرين إما الزواج بها أو تركها وشأنها لترحل، ولكنها كانت متأكدة أن الزواج هو آخر ما قد يقدم إليه. لقد انقلب السحر على الساحر فبدل أن يتركها وشأنها ويطلب منها الرحيل يفرض عليها الزواج به ومن أجل ماذا؟ من أجل الحفاظ على سمعة العائلة؟ ولكن عليها البدء بالتفكير.

فبما كانت الشاحنة تنهب الأرض في رحلة العودة، اكتشفت أنه لن يكون هناك سبيل للخروج. كان غاي مصراً على أن تتزوجه، فبالنسبة له يرى أنها لعبت الكثير من الألعاب الغبية ويجب أن تكون مستعدة لتحمل النتائج.

حرص على أن يجلسها على المقعد الأمامي بجانبه. وعندما اقترحت عليه أن تجلس في الخلف ثانية، أخرستها نظراته.

ـ القنب والرماد لا يناسبانك في الواقع يا حبيبتي، أعرف من أنت

وليس هناك من موجب لتحاولي التأثير بي.

همست بحزن:

لم أفعل ذلك قط.

ـ مع أندريه فقط.

ما زال يعتقد أنها جاءت إلى إيجبان لتبقى مع أندريه. ولكن بماذا تجيب؟

ـ هل تهتمين لأمره؟

أحست أن من وراء كلامه خدعة فشعرت بالإعياء:

ـ أنا لا أحبه، إذا كان ذلك ما تقصد.

ـ ومع ذلك كنت ذاهبة إليه لتلزمي نفسك!

بدا أن نبرة غاي الجليدية ستجمدها لذلك لم تعد قادرة على التفكير بوضوح:

ـ أل... ألزم نفسي؟

ـ في عيون الآخرين.

ـ أهه، لقد فهمت.

حدقت إلى الطريق أمامها. كان احتقاره لها واضحاً ولو كان ما يظنه صحيحاً لاستحقت ذلك، فهو يظن أنها كانت ذاهبة إلى أندريه من أجل الإثارة والمغامرة فقط مع أنها ليست واقعة في حبه. ربما حانت لحظة الاعتراف، ولكن قد يشعر بعد ذلك أنه غير مضطر للزواج بها.

ـ غاي.. لم أكن.. أكن ذاهبة..

قاطعها بحدة وكانت عيناه تبرقان عندما التفت إليها:

ـ من فضلك يا جوليا لا أريد أن أسمع المزيد. نحن ستتزوج وأفضل عدم الإصغاء إلى قصص مفبركة. أنت كالأخريات جبانة حتى الموت عندما يصل الأمر إلى المواجهة النهائية ولا تجري الأمور حسب هواك.

ـ ولكن لهذا الأمر علاقة بك.. لست مضطراً إلى الالتزام بزوجة لا تعجبك حتى.

ـ كفي عن القفز إلى استنتاجات خاطئة.

كيف لها أن تفكر في غير ذلك وهي تراه ينظر إليها بعينين مشبعتين بالكراهية؟ لماذا يجب أن يتزوجني؟

خافت أن تجادله وهو في هذا المزاج الغاضب. لقد قر رأيه ولا شيء قد تقوله سيغيره. كانت لديه قوانين معينة يقتدي بها في حياته وهو ليس في صدد أن يسمح لشابة غبية أن تغير طريقة تفكيره.

أخيراً تنهدت باستخفاف:

ـ أعرف أنك ترفض التحدث في الموضوع ولكن أتمنى عليك أن تمهل نفسك وقتاً لتعيد التفكير. الزواج خطوة جادة، خاصة في فرنسا، وإن أخبرت خالتي مافيز بأمر زواجنا فستفوتك الفرصة ولن تستطيع أن تغير رأيك.

تكلم غاي خاتماً الموضوع بصورة جعلتها ترضخ منهزمة.

ـ لن أبدل رأيي، وليس لدي رغبة بذلك.

أغمضت عينيها عندما اقترح عليها أن تحاول أخذ قسط من الراحة.

لم يكن يحبها، ولكن بسبب سوء ظنه بها قرّر أن يتزوجها. كان يحميها طوال الوقت وهو أمر مسلم به ولكنها لم تلاحظ في الوقت ذاته إلى أي مدى يأخذه الحس بالمسؤولية. لم تعتقد جوليا أنها ستغفر لنفسها أبداً لتغاضيها عن هذه الحقيقة. لقد ذهبت إلى إيجبان هذا المساء واندفعت في مخطط غبي أوقعت نفسها به، ولدى غاي كل الحق في إساءة الظن بها ويجب أن تكون مستعدة لتدفع ثمناً غالياً.

أبت أن تفكر طويلاً في ما قد يمكن أن يكون زواجهما، حتى اللحظة الأخيرة يمكن أن يلغى هذا الزواج.

سألته ثانية قبل أن يصلا إلى المزرعة أن يبدل رأيه في الزواج بها ولكنه رفض الإصغاء إليها. لم يبدُ أنه أهدر ساعات الصمت الطويلة من رحلتهما في لوم نفسه بلا فائدة كما فعلت، بل كان يخطط لكل شيء.

وجدت من الصعوبة أن تغفر له طريقة تخطيطه بدم بارد، في الوقت الذي لم يكن بمستطاعها أن تخطط أمراً واحداً. وما حيرها عندما وصلا أن الجميع لم يرتابوا بقصته عن وقوعه في غرام جوليا إلى درجة لا يمكن

معها الانتظار، وقد مرت حتى إشارته إلى أنه خطفها من حفلة آل رينود بدون أن تثير ريبة أحد.

عندما انتشر خبر زواجهما تلقاه الجميع بالترحيب. علمت جوليا من خلال كلام مونيك المتواصل أن زواجها من غاي أصبح حديث مقاطعة بروفنسال وكان من العناوين الرئيسية في المقاطعات الأخرى. أنذرها ذلك بالخطر لأنها لم تكن تعلم أن عائلة جيرارد مشهورة كثيراً.

لقد حاولت، توسلت إلى غاي حتى اللحظة الأخيرة أن يفكر ثانية واستطاعت حتى في عشية ليلة زفافهما أن تجعله يصغي إليها، وأخبرته الحقيقة ولكنه اكتفى بالضحك عليها وهو يسألها:

ـ هل تطلبين مني أن أصدق أنك وجدت الشجاعة لتأوي إلى سريري؟ أحياناً لا أحتاج للكثير لأقتنع ولكني لن أصدق ذلك أبداً.

حدقت إليه بإحساس متزايد من الإحباط.

ـ كنت أفكر في أن أفعل ذلك حتى تتركني أرحل.

ضحك كثيراً:

ـ سيسأل الكثيرون يا حبيبتي عن مدى رجاحة عقلك وليس عن دوافعك.

استطاعت أن تصرخ في وجهه من جراء الغضب السريع الذي شعرت به.

ـ إن ندمت في الأسابيع القادمة فلا تلمني بعد ذلك!

فار غضبه بالسرعة ذاتها ولكنه كبته:

ـ كوني متأكدة أني أعرف دائماً ما الذي أفعله يا جوليا، وأنا لست مثلك أتصرف بتهور. ستتزوج غداً يا صغيرتي، أعجبك ذلك أم لم يعجبك. لقد برهنت بتصرفك الأخير أنك بحاجة لمن يسهر عليك، وأنا بحاجة إلى زوجة. وبما أننا نرتبط من خلال أفراد عائلة واحدة فأنا أعتبر أن ذلك ترتيب مناسب يا عروس.

كان قد أكد لجوليا أن زفافهما سيعقد بهدوء ولكنها لم تكن تتوقع أن يكون هادئاً إلى هذه الدرجة. ذهبا بمفردهما إلى الكنيسة بعد احتفال مدني

قصير في دار البلدية ورافقهما صديقان لغاي من العمل ليشهدا على الزواج، ولكنهما لم يحضرا حفل الاستقبال.

بذلت جوليا جهدها خلال حفل الاستقبال لتظهر سعيدة وهذه هي توجيهات غاي المبطنة. لم تكن متأكدة إن كانت تفلح دائماً في محاولاتها المتكررة في الابتسام.

كان التوتر الذي شعرت به وهي تتظاهر بأنها عروس تشع فرحاً أعظم مما تصورت، وأحست بالفرج عندما حان الوقت لذهابهما.

شعرت بأن مافيز تعاني صعوبة في الاحتفاظ بالابتسامة على وجهها. ما علمته أن غاي قدم لها تفسيراً قصيراً عن قراره المفاجيء بالزواج، ولكن مافيز شكت في أنه خطفها من حفلة صديقتها ليطلب يدها.

شعرت جوليا أن مافيز مستاءة إذ كانت تتطلع إلى زفاف غاي منذ وقت طويل لذا كان من المستحيل عليها أن تشعر بغير ذلك بسبب العجلة في الزواج. وبدل أن تكون لورين العروس الجميلة، حلت مكانها ابنة أختها الصبية القادمة من لندن التي يمكن أن تعتبرها غير مناسبة على الإطلاق لهذا الدور. وما أكد لها ذلك أن مافيز لم تذكر الزفاف إلا قليلاً في الأيام السابقة، وأضاف موقف مافيز تياراً جديداً إلى الجو الذي بات لا يطاق.

كرهت جوليا نفسها وهي تراقب مافيز بقلق، لأنها كانت السبب. لقد أحبتها خالتها وهي متأكدة من ذلك، ولكنها تساءلت عما إذا كانت ستستمر في حبها عندما تنكشف الحقيقة. ربما لن يكشف غاي عن القصة بكاملها ولكن كيف يتظاهر شخصان بالسعادة الزوجية وهما غير سعيدين! لا شك أن مافيز ستلاحظ عاجلاً أن هناك خطباً ما.

سافرا إلى إيجبان بعد ساعتين تقريباً من زواجهما.

علق غاي بصراحة وهما يلوحان بأيديهما مودعين:

ـ لاجدوى من إطالة شيء لا يتمتع به أحد.

ردت جوليا عليه بقسوة:

ـ من الطبيعي أن تكون خالتي مافيز حائرة. ربما تزوجنا بسرعة

ولكنها عاجلاً أم آجلاً ستتقبل الأمر.

إذاً لاحظ هو أيضاً أن مافيز كانت منزعجة؟ ولعل ما أزعج مافيز هو لا مبالاته الواضحة.

ـ ربما استراحت إن سمحت لها بإخبار فايمي.

هز كتفيه:

ـ إذن تريدني موحشاً لأني أبعدت أختي عن زفافي؟

ـ ولكن ذلك بيت القصيد! إنها أختك ومن المحتمل أن تلقي باللوم علي!

ـ إنها تعرفني جيداً بحيث لن تفعل ذلك، ولن تشك بأن القرار هو قراري.

اهتاجت جوليا:

ـ ولكن ذلك لن يمنعها من التساؤل عن السبب!

ـ السبب أنني لا أطيق أن يأتي ليون برفقة فريق من المصورين والصحافة.

ـ الحقيقة الأكثر احتمالاً هو أنك محرج مني!

صحح لها:

ـ الحقيقة أني كنت أحاول إنقاذك من حرج غير ضروري. هل تظنين أني كنت سأهتم لو حضرت كل وسائل الإعلام في العالم أيتها الغبية الصغيرة؟

لقد استحقت ذلك. سلمت بالأمر وأحنت رأسها وهي تتمتم معتذرة. لم تكن تعرف من أين تأتيها الرغبة الجامحة لتتشاجر معه.

في الأيام القليلة الماضية نادراً ما كانت مع غاي بمفردها، وعندما كان يحدث ذلك تجد أن عنده القليل ليقوله لها.

استنشاط غضبها ثانية عندما سمعته يقول لها ببرودة:

ـ عندما يتزوج ابنتا قد تغفرين لي.

كانت برودته أشبه بالمتاريس، باب يبقيه مغلقاً بإحكام في وجه كل آمالها ومخاوفها. لا شك أن الكلام عن الأبناء هو توبيخ إضافي لأنها

متأكدة أنه لا ينوي إنجابهم ما بقي متزوجاً بها.

ـ ألا توجد وسيلة للتواصل معك؟

قال لها بقسوة أخرستها:

ـ ما الذي تظنين أنك كنت تفعلينه منذ قدومك إلى هنا؟

استرخت على مقعدها وأغمضت عينيها متظاهرة أن كلامه لا يستحق الرد. ما قاله قد يعني أشياء كثيرة ولكن الأرجح هو الإشارة إلى أنها كانت مشكلة لم يستطع تجاهلها وكان في غنى عنها. تجنبت أن تفتح عينيها لئلا تنظر إليه. ولكن ما إن وقعت عيناها على قسمات وجهه الأسمر وفكه النحيل وفمه حتى أدركت أن من الصعب أن تشيح وجهها عنه. لقد بدا اليوم في الكنيسة حيث تزوجا، رائعاً.

كان طويلاً ضخماً وجذاباً وقوياً وهو يمسك يدها بأصابعه الطويلة والنحيلة بقبضة كادت تؤلمها. نظرت إليه حتى ارتعشت مفاصلها. لم يعانقها بعد إتمام مراسيم الزواج ولكنها شعرت حتى في الكنيسة بالتوتر العاطفي الذي يربطهما. تساءلت جوليا بخفة لماذا يجب أن يكون الوضع دائماً هكذا. كان أمراً لم تستطع أن تستوعبه ولكنه مؤثر.

أجبرت نفسها على الكلام لتخفف من خفقان قلبها:

ـ هل يتوقع برنارد ومونيك وصولنا؟

أجابها بنعم ولم يوبخها لأنها طرحت سؤالاً تعرف مقدماً الجواب عنه.

لم تستطيع جوليا أن تعرف ردة فعل مونيك على زواج غاي بسرعة. لا شك أن مونيك ستبدأ التساؤل ما إن تلقي نظرة واحدة على وجه غاي المتجهم.

علقت جوليا بمرارة نماشياً مع مجرى أفكارها:

ـ هل لك أن تخبرني كيف سنجعل الناس يصدقون أننا زوجان يعيشان بصورة عادية؟

ـ بأن نكون فعلاً هكذا.

ـ أنا آسفة ولكني لم أفهم.

ابتسم لها بتعاطف:

ـ لن يكون ذلك صعباً إذا تعاونت معي.

دق قلبها بشدة لأنها لم تستطع أن تأخذ ذلك بالحسبان. أجابته بسرعة: أنا غير بارعة بالتظاهر.

نسيت أن هذا ما كانت تفعله في الأسابيع الماضية. تذكرت أنها تحب غاي ولكنها ستمضي حياتها وهي تتظاهر بأنها لا تحبه.

ذكرها بقسوة:

ـ كنت تعتزمين أن تصبحي ممثلة.

ـ كانت فكرة مجنونة.

التوى فمه وكأنه تذكر كم من الوقت أمضى ليجعلها تعدل عن رأيها.

ـ ولكنك كنت ستحاولين. اسمعي إذا طبقت عزيمتك هذه على القبول بزواجنا يا حبيبتي فلن تكوني على خطأ.

كان برنارد بانتظارهما مثلما فعل عندما وصلا في المرة السابقة. شعرت أنه يراقبها بفضول وغاي يساعدها على الترجل من الشاحنة التي جاء بها عوضاً عن السيارة لأنها ما زالت مليئة بحاجيات ضرورية جداً.

كانت عضلاتها متشنجة من طول القعود الأمر الذي جعلها تسر عندما ساعدها غاي وأعطاها شعوراً بالثقة مجدداً.

استطاعت أن ترى برنارد لأنه لم يكن من الممكن رؤيته في المرة السابقة، وكم دهشت عندما لاحظت أنه أصغر سناً من غاي وهذا يعني أن زوجته صغيرة أيضاً.

أعجبها الدفء البادي على وجه برنارد عندما قدمها له، وترك انطباعاً بأنه قد أعجب بها. كانت مونيك على شاكلته إذ هرعت من داخل المطابخ حيث وضع غاي، كما تذكرت، الكوب الفارغ الذي احتست منه القهوة. ارتاحت عندما وجدت، كما كانت تأمل، أن عمر مونيك لا يتجاوز الثلاثين وبدت مسرورة حقاً بلقائها.

قالت وابتسامتها الدافئة تغطي القليل من الدهشة ومع أنها سحرت برقة جمالها لم تظهر ذلك إلا للحظة.

ـ أهلاً بكِ في إيجيان. لن نتظاهر أنا وبرنارد بأننا حزرنا بالأمر عندما وجدنا مذكرتك يا غاي ولكننا فهمنا عندما اتصلت المدام بعد الغداء وأوضحت لنا. نتمنى لكما السعادة الدائمة.

صافحت جوليا بحرارة ثم أخبرتهما أن طعام العشاء جاهز وبعد ذلك أمسكت بيد غاي وأخذته بعيداً. سمعتها تقول شيئاً بالفرنسية لغاي بسرعة ولكنها لم تفهم ما قالت.

تثاءبت جوليا باحتراس عندما أغلق الباب وراءهما: ماذا كانت تقول لك؟

ـ أوه. لقد كانت تهنئني على عروسي الجميلة.

حدث كل شيء بسرعة: وصولهما، مقابلة عائلة لابورت، بحيث شعرت جوليا بالدوار. سألته لتتهرب من البقاء معه بمفردها:

ـ ألم تذكر شيئاً يتعلق بطعام العشاء؟

لم يعد يضايقها ولكن نظراته كشفت بوضوح تام أنه يعتبرها جبانة.

ـ لا شك أن مافيز أعطت أوامرها، هل نذهب ونرى؟

اقتادها إلى المطبخ الذي كانت جدرانه وجدران الموقد مغطاة بحجر الآجر الأحمر وكم أعجبت به جوليا. وجدت الطاولات والكراسي من الطراز الريفي وأحبت لون الخشب الذي يشبه لون العسل.

تجولت نظراتها على الرفوف الملأى بالسلال والقوارير وأوعية السيراميك المحلي والآنية التي يستعملها الفلاحون. أعجبتها الروائح المنبعثة أيضاً وقد اختلط شذا الأعشاب الخفيف مع رائحة البصل النافذة والخبز المخبوز حديثاً بالإضافة إلى رائحة الطعام الشهية.

التفت إليها غاي بعدما ألقى نظرة على عدة صحون:

ـ ليس هناك ما لا يمكنه الانتظار إذا رغبت أن تستحمي أولاً.

اقتربت من حوض الجلي الحجري في زاوية المطبخ:

ـ لا، أريد أن أغسل يدي فقط.

كانت طاولة الطعام جاهزة. راقبها غاي طوال فترة العشاء بصورة لا تسر واستنتجت جوليا أن السبب يتعلق بها. وفي إحدى اللحظات عندما

رفعت عينيها المتعبتين إلى وجهه الأسمر، تساءلت إذا كان يستمتع بما يأكله أو إذا لاحظ أنه يأكل أي شيء على الإطلاق.

بدا متعباً واجتاحتها موجة من العطف عليه وهذا إحساس جديد عليها، ارتجفت عندما أدركت مدى عمق عواطفها.

نهض غاي عندما امتنعت عن تناول الحلويات والقهوة قائلاً إنه سيلاقيها في غرفتها.

ـ أنت على وشك النوم على الكرسي ولكن هنالك أمكنة مريحة أكثر.

ـ غرفتي، أنا؟

جاء صوته بارداً وهو يشيح بصره عنها:

ـ نعم، إنها مجاورة لغرفتي. تعتقد مافيز أن الإنجليز يفضلون الغرف المنفصلة ولذلك أمرت مونيك بتجهيز الغرفتين، والأمر يعود لنا بالنسبة للغرفة التي ستأوي إليها.

لم تجب جوليا، كانت في حيرة من أمرها. اعتلى الاحمرار وجنتيها وتسارعت دقات قلبها بشدة بحيث أصبح التفكير السليم مستحيلاً. لو أعطاها غاي إشارة لارتمت بين أحضانه حالاً ولكنه بدا ممتنعاً فمات ميلها إلى ذلك قبل أن يلد.

تعثرت وهي تسير خلفه إلى غرفتها. حدقت إلى الغرفة بريبة عندما فتح بابها على مصراعيه. عقلها يقول شيئاً وعواطفها تقول شيئاً آخر. وأدركت فجأة أن مونيك متأكدة من أنهما سينامان في غرفتين منفصلتين وإلا لما أهملت القيام بأحد واجباتها.

ما إن أصبحت في الداخل حتى أغمضت عينيها وهي تشعر بالعجز. لذا لمّا عاد إليها مالت إليه.

ـ أنت على وشك السقوط.

قال هذا ثم حملها وألقاها على السرير.

اعتقدت جوليا التي تسارعت دقات قلبها بجنون أنه سيعانقها وعندما رأته ينتصب على قدميه لم تحتمل الأمر فرفعت ذراعيها إليه وناداته باسمه. وكان التوسل البادي على وجهها غير مفهوم ولكنه أوصل الرسالة.

تريث وقد ضاقت عيناه وكأنه لا يصدق دعوتها الصامتة: نعم؟

كانت تشعر بخجل شديد ومع ذلك قالت:

ـ ألن تعانقني متمنياً لي ليلة هانئة؟

تجاوبت معه عندما عانقها وتدفقت كل أحاسيسها. لقد أدركت الآن فقط أن لا داعي لإخفاء مشاعرها لأنها أصبحت زوجته ومع ذلك انتابتها غريزة عذرية مجنونة في الهروب منه.

ارتجفت جوليا وهي متعلقة به وسمعت ضربات قلبه القوية وقسوة ذراعيه.

فجأة نهض وكأنه عاد إلى رشده للتو وابتعد عن السرير قبل أن تدري ما يحصل، وقال لها بحدة:

ـ أنا آسف يا جوليا، لا أريد أن أؤذيك.

توقف هنيهة ثم أردف:

ـ يجب أن تتذكري أنه من السهل إغواء الرجل حتى وإن لم تتدخل مشاعره. ولكن عندما تتدخل مشاعره يصبح الأمر أشد خطراً.

* * *

٧ ـ أرجوك أن تسمعني!

أبعدت جوليا يديها عن وجهها لتحدق إلى غاي الذي كان يهم بإغلاق الباب خلفه. كان واقفاً بقامته الطويلة وبكتفيه العريضتين أمام عينيها بجنون ولم يمنعها من الجري خلفه إلا الكبرياء.

راحت تبحث عما يخفف آلامها. أضاف الإذلال الذي تشعر به لوناً ورديا على وجنتيها فأحنت رأسها ووضعته بين ركبتيها.

لقد أدرك غاي أنها سترضى أن تكون له مع أنها تعلم أنه لا يحبها، ولن تحصل منه الآن إلا على الاحتقار.

أخذت ترتب السرير بعينين جافتين ثم دخلت إلى الحمام لتستحم وأنعشها الاستحمام ولكنه فشل في أن يوفر لها ما كانت تبحث عنه. كيف تحصن نفسها من رجل هو زوجها منذ أقل من اثنتي عشرة ساعة؟ وجدت نفسها عندما عانقها غاي للمرة الأولى وهذا المساء أنها تحاول الإمساك بشيء لا تستطيع أن تراه، وقد عرفت بغريزتها أنه لن يهنأ لها بال حتى تكتشف ما هو هذا الشيء.

في الصباح عندما نزلت لتناول الفطور كان غاي قد خرج وأصيبت بشيء من خيبة الأمل. حيتها مونيك وهي تدخل إلى المطبخ ثم ابتسمت متعاطفة بعدما رأت وجه جوليا المتجهم.

قالت لها برقة قبل أن تسأل:

ـ أتشعرين بالشوق إليه كثيراً يا آنسة؟ أوه، أنا آسفة كان يجب أن أقول يا سيدتي ولكنك تبدين شابة جداً.

ردت جوليا لها الابتسامة:

ـ ولماذا تزعجين نفسك بالألقاب؟ أسمي جوليا.

برقت عينا مونيك بالتقدير وهي ترفع وعاء القهوة عن الموقد:

ـ قهوتك جاهزة وكنت على وشك أن أجلبها لك.

جلست جوليا بعدما أشارت مونيك بيدها إلى الطاولة وأخذت تسكب القهوة الساخنة في كوبين.

ـ ألا تمانعين إذا شاركتك شرب القهوة؟

ضحكت جوليا:

ـ بالتأكيد لن أمانع، ولكن لا أريد منك أن تدللني.

ـ يجب أن تدلل كل عروس قليلاً. لقد ذهب برنارد مع غاي بعدما تناولا الفطور.

شعرت جوليا بالذنب.

ـ كان عليّ أن أنهض باكراً لأتناوله.

ـ ولماذا؟ أنا هنا، ولهذا السبب أقبض راتباً.

لم تستطع جوليا أن تصدق أن مونيك خادمة عادية. قضمت فطيرة ساخنة من مربى الكرز وانتظرت لحظة قبل أن تسأل بحذر:

ـ هل تعملين وزوجك منذ مدة طويلة مع غاي؟

ـ منذ عشر سنوات تقريباً، والد برنارد صديق حميم لغاي. عرض عليه العمل في إيجيان عندما عبر عن رغبته في زراعة الكرمة.

ـ ألم ترغبي في امتهان مهنة ما؟

ضحكت مونيك: ولكن عندي مهنة كزوجة لبرنارد وأم لأولاده، نحن نحب الإقامة هنا كحبنا لبعضنا بعضاً.

جالت مونيك بجوليا في أرجاء البيت بعد الانتهاء من تناول القهوة.

ـ لقد عزمت على فتح بعض غرف الطابق السفلي لأنك لن تستطيعي العيش في المطبخ.

ـ يجب أن تسمحي لي بمساعدتك.

ـ ولكنك في شهر العسل.

فراشة المحبة

- وقد هجرني زوجي منذ الآن.

- لا، أنا لا أصدق ذلك. كل ما في الأمر أنكما تزوجتما على عجلة وفي وقت يجب أن تنجز فيه أمور كثيرة، ولكنه سيكرس نفسه لك كلياً بعد يوم أو يومين. وهناك قلة من النساء في وادي الرون لا يحسدنك يا عزيزتي.

عاد غاي إلى البيت ساعة الظهيرة وكانت مونيك قد اضطرت للعودة إلى بيتها لأن المدرسة أرسلت أحد أولادها إلى المنزل بسبب وعكة صحية. أتى عامل من المزرعة بالخبر وطمأنها بأن حالة ابنها غير ذات شأن، كما أكدت لها جوليا أن باستطاعتها تدبر أمرها بقية النهار. لم تضطر جوليا إلى أكثر من وضع اللحوم الباردة والسلطة على الطاولة والانتظار.

عندما أتى جالت عينا غاي على وجهها الشاحب، ولكنه لم يقل إلا أنه غير جائع. تلعثمت جوليا واستحوذ عليها شعور بالإحباط من جراء نظراته الباردة:

- لم أفعل الكثير... كانت مونيك هنا طوال فترة الصباح ولكن ابنها الصغير أصيب بوعكة صحية واضطرت للذهاب.

ابتعد عن حافة حوض الجلي وجفف يديه:

- سنخرج هذا المساء فيوفر عليك ذلك عناء الطبخ، ومن المفترض أن تأتي مونيك غداً.

- أنا لا أمانع في ذلك.

أشاحت بصرها عنه وبيد مرتجفة وصلت وعاء القهوة بالكهرباء. إنهما يعيشان كالغرباء، ولولا التوتر الظاهر بينهما لاعتقد أي شخص أنهما يتقابلان للمرة الأولى.

أكل غاي من اللحم الذي تبقى من ليلة أمس.

- يجب أن أخرج ثانية بعد الظهر، أخشى..

- هل أنت مشغول كثيراً؟ هل أستطيع المساعدة؟ على كل واحد أن يتعلم.

- إنها مزرعة كبيرة يا جوليا لذا كلما أتيت إلى هنا أجد أمامي قرارات كثيرة أتخذها فمن غير الممكن إلقاء كل شيء على عاتق برنارد، وليس هناك ما يمكن أن تفعليه.

- لا بد أنك تحتاج إلى مساعدة إضافية في شهر أيلول.

انقبض فمه وكأن إلحاحها أزعجه. استعد للخروج من دون أن ينظر إليها:

- تجملي لهذا المساء.

تكلم بلهجة الغائب ولم تستطع تصديق أنه يهتم. أصابتها نوبة من الاستياء جعلتها تمضي طوال فترة بعد الظهر في تنظيف غرفة الجلوس، وكانت تأمل أن يجعلها العمل الشاق تبدو مرهقة جداً فيدفعه إرهاقها إلى عدم اصطحابها إلى السهرة.

اندفعت مونيك إلى البيت وجوليا على وشك الانتهاء. لوحت بيديها علامة مزيج من الإعجاب والهول عندما شاهدت الغرفة وقد أعيدت إلى بعض مجدها الغابر ثم استعلمت:

- ما الذي سيقوله غاي؟

بدا أن اهتمامها منصب على ما ستقوله هي:

- الصحف ملأى بأخبار زواجكما يا جوليا، لم أجلب معي واحدة لتقرأيها لأني لم أكن متأكدة من موافقة غاي على ذلك.

- ماذا كتبوا عنا؟

- لا شيء يدعو إلى القلق، كثير من القيل والقال السخيف وتخمينات تجعل الواحد منا يضجر.

عندما ذهبت مونيك رن جرس الهاتف، فردت جوليا التي راعها سماع صوت لورين وهي تسأل بحدة: هل غاي موجود؟

- لا..

بدا أن لورين توقعت ما ستضيفه جوليا فقاطعتها:

- لا عليك، لا داعي للبحث عنه فأنت من أريد التحدث إليها.

حثتها غريزتها على إقفال الخط في وجهها وتمنت لاحقاً لو فعلت

ذلك، ولكنها تجاهلت صوت الإنذار في داخلها لأنها كانت تشعر بالذنب. فإذا كانت مدينة للورين بشيء واحد، فهذا الشيء هو أن تسمعها. ألم تخبر جوليا مراراً أنها وغاي سيتزوجان؟ وأدركت جوليا أنها حطمت حياة لورين وحياة غاي.

لم يكن في توبيخ لورين العنيف ما لم يسبق أن سمعته من ذي قبل إلا شيئاً واحداً نجح في جعلها تشعر بأسوأ مما كانت عليه.

ـ لا أعرف كيف استطعت أن تجري غاي أمام الكاهن. تمّ الأمر على عجل فاستنتج الناس أموراً كثيرة.

ـ إنهم على خطأ.

ـ ألا تستطيعين الكلام بصوت عال؟ لقد حذرت غاي عندما وعد والدك بالاعتناء بك وبحراستك ولكن غلطة الشاطر بألف، على أي حال ينوي غاي أن يطلقك.

لم تدر جوليا متى وقعت السماعة من يديها المرتعشتين فتوقف صوت لورين الحقود عن أذية أذنيها المخدرتين. تألمت عيناها من دموع لم تذرف. كيف استطاع والدها أن يفعل شيئاً كهذا؟ هذا يوضح الكثير خاصة زواجه بها.

دهشت جوليا كيف أنها بعد كل ما مر بها تبدو شاحبة قليلاً. كانت قد استحمت وارتدت ملابسها، ربما ساعد على ذلك الماكياج ولكنها لم تعرف أنه لم يموه تعابير اليأس في عينيها. لم يخبرها غاي ما يجب أن ترتديه فاختارت عشوائياً ثوباً من الحرير يصلح للمناسبات الرسمية.

سألته وهما في طريق الخروج من البيت: إلى أين سنذهب؟

ـ انتظري تري.

كانت مستعدة لذلك فقد ظهر أنه من غير المهم إلى أين سيذهبان أو كم من الوقت ستستغرق الرحلة. كانت تفكر في أفضل طريقة لتفتح معه موضوع والدها، ولكنها فضلت الانتظار حتى تهدأ ثائرتها لأنها كانت تشعر أنها ستهاجمه عوضاً عن مناقشة المسألة بهدوء.

عندما فشلت بعد ساعة من العثور على وسيلة للسيطرة على نفسها،

أخذت تأمل في أن يعطيها سبباً لبدء الحديث ربما بالتعليق على زواجهما ولكنه لم يقل شيئاً. ولم يكن هناك غير الصمت المتوتر المعتاد بينهما الذي أصبح مع كل كيلو متر يسيرانه أكثر استحالة.

بدا غاي في بذلته الغامقة بعيد المنال أكثر فأكثر. لم تعد جوليا تدري أين هما بسبب الظلام. عندما توقفا أخيراً أمام بيت هالها ما سمعته من أنغام الموسيقى وضحكات الحاضرين.

التفتت نحو زوجها حائرة وخائفة: أين نحن؟

ـ عند صديق، لقد دعينا إلى حفلة يقيمها. هل تظنين أنني ممن يقتحمون الأبواب؟

ـ ولكنك لم تخبرني!

ـ أليس مسموحاً لي أن أفاجئك؟ على أي حال، لقد فكرت أنه سيكون أكثر تسلية من التحديق الأحمق ببعضنا بعضاً من فوق مائدة مطعم.

أخبرها حدسها أن مزاجها الغاضب لا يوازي أبداً مزاجه الذي يميل إلى العنف ولكن جوليا طرحت هذا جانباً واعتبرته وهماً:

ـ ألن يفكروا في أن ذلك غريب؟ أليس من المفترض أن نكون في شهر العسل؟

ـ يبدو أن الصحافة تظن ذلك أيضاً.

إذاً هو عرف، وتركها تقبع في عذاب صامت. همست: «أكرهك في بعض الأحيان».

رد عليها بفظاظة ولم يبدُ عليه الانزعاج عندما فهمت ماذا يعني: فلتزّ؟

شعرت جوليا بفظاعة المجيء إلى هذا المكان. تمسكت بمقعدها وأعصابها مشدودة فاضطر غاي إلى سحبها سحباً من داخل السيارة. رأت عندما نظرت بصورة شاملة أن المكان يشبه ما يملكه غاي على الضفة الأخرى من الرون. وفجأة أصابها إحساس مخيف.

دفعها بقسوة نحو زوجين في منتصف العمر.

ـ من يقيم هنا؟

ـ ألم تلاحظي بعد؟

تمهل لحظات قبل أن يقدمها لمضيفيهما، السيد والسيدة تيسيه: زوجتي.

دهشا وسرا لقدومهما.

ـ يا أهلاً بغاي، لقد أرسلنا دعوة لاعتقادنا أن مونيك وبرنارد سيأتيان. وكنا نشعر أن أملنا بمجيئك كأمل إبليس في الجنة.

ـ خطر على بالي أن أمر بكم بضع دقائق، لقد غبتما فترة طويلة.

لماذا تشعر أنه يمتحنها بإحضارها إلى هنا؟ غصت جوليا من شدة الرعب، وفيما هي تدرك مدى دهائه، جرها غاي برشاقة قبل أن تتعرف إلى أي شخص آخر.

انتفض قائلاً:

ـ كنت أتساءل متى ستلاحظين؟ ها هو الرجل العظيم يأتي بنفسه.

بدا الوضع أشبه بكابوس عندما رأت أندريه برفقة لورين، وفشلت في استيعاب كيفية وجود لورين في هذا المكان ولم يمضِ وقت على محادثتهما الهاتفية.

قالت لورين:

ـ لقد وصلت هذا الصباح، لم يكن في وسع فايمي أن تأتي فتوسلت إليّ أن أحل مكانها. لقد عانت أختك الكثير من جراء زواجك يا غاي.

ـ لا أظنها ستعاني طويلاً.

اجتاح الغضب والبؤس جوليا، فعلى الرغم من برودة أعصابه فهمت أنه أكد للورين بوضوح أن زواجهما هو أمر مؤقت.

عندما بدا أن أندريه عثر على صوته بعد طول انتظار، طلب من غاي أن يسمح له بمرافقة العروس فلما أذن له شعرت جوليا ببؤس لم تشعر بمثله قط.

لا ريب أن غاي سعيد بالتخلص منها لأن جوليا لاحظت أنه سارع يراقص لورين.. راحت نظراتها المنهزمة تلاحق خطواتهما وتراقب بعجز كيف جرها من الغرفة إلى باب يقود إلى الحديقة. صعقها تصرفه بصورة

جعلتها لا تلاحظ كيف قام أندريه بمناورة أوصلتها إلى الخارج ولكن في الاتجاه المعاكس.

نظرت إليه بسخط محذرة عندما توقف في القسم المظلل من الشرفة. لم تكن لديها الرغبة لتكون بمفردها مع أندريه وكيف يمكنها أن تنتقد غاي لخروجه مع لورين وهي في الوقت ذاته تفعل مثله؟

ـ أرجوك يا أندريه أريد العودة إلى الداخل.

أفلتها وأبقى يده على ذراعها.

ـ سيكون لك ذلك بعدما تخبرينني لماذا فعلت ذلك يا جوليا؟

ـ أتقصد لماذا تزوجت غاي؟

ـ نعم!

لم تشعر بالغضب لأن أندريه سبق وطلب يدها، وله الحق أن يسألها لماذا اختارت رجلاً آخر. كان لديها جواب ولكنها ترددت في قوله لأنها ستكون المرة الأولى التي تنطق به عالياً:

ـ أنا أحبه يا أندريه.

رد عليها بوجه شاحب ومتجهم:

ـ لقد تكهنت ذلك، ومع ذلك صدمني الأمر عندما أصبح مؤكداً. ولولا اهتمامي بك كثيراً لكان مستحيلاً أن أغفر لك.

ـ أنا آسفة.

ـ وأنا أيضاً، لأن لا أمل لدي بالفوز.

ليته عرف فقط الحقيقة بأكملها! عضت جوليا على شفتها بقوة وارتدت على عقبيها عائدة إلى الداخل ثانية، لم تكن عندها رغبة في البقاء أكثر من ذلك مع أندريه خشية أن تكشف عن مكنونات نفسها.

توسل إليها أندريه أن تبقى.

ـ العروس السعيدة والرجل المرفوض، موقف غريب! تعالي لنرقص لآخر مرة يا صغيرتي ثم اتركيني غارقاً في أحزاني.

كيف لها أن ترفض هذه الدعوة؟ خاصة وهي لا ترى غاي في مكان ولم تشأ البحث عنه خشية أن تجده يعانق لورين.

وجدت أن المكان أفضل وأوسع من إيجيان ولما علقت اكتفى أندريه بالقول أن باستطاعة غاي عمل الكثير إذا عزم على ذلك، ولاحظت أن أندريه لا يرغب بالمقارنة.

تحلق حول الموائد مدعوون أكثرهم من الشباب المرح وشكرت جوليا ربها لأنها لم تقابل من يعرفها ومع ذلك أحست بالراحة عندما اقترح عليها أندريه انتظاره بجانب بركة السباحة. ثم حدث ما لا يصدق، فبعد ابتعاده اقترب منها شابان يتمازحان ببراءة وصخب فدفعاها إلى البركة عن غير عمد.

سمعت جوليا التي كانت تغوص في المسبح صرخات استغاثة.. رمى أندريه نفسه وراءها وانتشلها وحملها بين ذراعيه وهي تكاد تختنق. لم يشاهد الكثيرون ما حدث، ومن شاهده أزاحهم أندريه من طريقه بمن فيهم الشابان اللذان سببا ذلك.

دخل من باب جانبي. لم تدر جوليا ما الذي يحدث حتى وجدت نفسها ملقاة على سرير أندريه.

ـ أنا آسف يا عزيزتي، تكلمي معي! أخبريني هل أنت بخير؟

فيما كانت تزدرد وتومىء برأسها أخذ أندريه ينزع عنها ثوبها المبلل وأشاح بصره عنها نحو الخزانة:

ـ سأجلب لك ما ترتدينه.

ـ لا يستحسن أن أكون هنا.

كانت تتساءل برعب عما ستفعله لاحقاً. أما أندريه فكان يبحث في الخزانة، قال كأنه لم يسمعها:

ـ لم أستطع تركك في الأسفل على هذه الحالة! لأن غاي لن يكون ممتناً. وكانت مسألة لحظات قبل أن يميزك شخص ما ثم ينتشر الخبر كالنار في الهشيم.

لم تستطع جوليا الاعتراض على هذا المنطق. لم يبدُ أن شعرها تأثر لأنها عقصته فوق رأسها ولم تخترقه المياه كثيراً. لو وضع أندريه ثوبها في آلة التجفيف لاستطاعت النزول ثانية بعد عدة دقائق.

بعدما ارتدت روب استحمام اقترحت عليه ذلك فوافق على ذلك ومن سوء الحظ أنه عندما كان ينحني لالتقاط ثوبها عن الأرض عانقها وفي اللحظة ذاتها خلع الباب ودخل غاي.

انفجر صوته بغضب مدمر:

ـ يا إلهي ما الذي يحدث هنا؟

وضع أندريه ذراعه حول كتفي جوليا ليحميها.

ـ انتظر، لا أعرف ما الذي تظنه..

بدا غاي وكأنه على وشك أن يرتكب جريمة. قاومت جوليا الوهن في ركبتيها.

ـ كنت على وشك النزول..

ـ بعد ماذا؟

ـ هدىء روعك، أنت تذهب بعيداً بأستنتاجاتك.

ـ ليس أبعد مما ستحصل عليه لو كان عندي وقت أكثر.

تقدم غاي من أندريه الذي تراجع خائفاً.

كان غضب غاي أحد من سكين فارتدت جوليا مثل أندريه ووقعت على السرير، الأمر الذي أشعل غضبه أكثر. انتزعها عن السرير بوحشية وحملها إلى سيارته. بدا أنه يعرف البيت جيداً لأنه لم يتردد في اختيار اتجاهه.

شعرت جوليا التي سحقتها بقوة ذراعاه وتجمدت أوصالها من البلل بالعجز التام. همست باسمه «غاي» والدموع في عينيها ولم تتلق جواباً.

ـ هل لك أن تصغي؟

توسلت إليه وقد بذلت جهداً لتتكلم فهي لم تره قط بهذا الغضب.

ـ اخرسي!

حاولت مرة ثانية: أنا...

ـ إذا نطقت بكلمة واحدة فقط، وليساعدني الله، فقد أقتلك!

لم تتذكر أنها قامت برحلة طويلة كهذه. جفت ملابسها عليها ومع أن روب أندريه وفر لها الدفء إلا أنه كان إشارة تذكير دائمة لما حدث.

تساءلت ما الذي سيحصل الآن؟ هل غاي على وشك أن يطردها وينهي زواجهما؟ ربما عنده الحق في أن يغضب خاصة وقد وجدها في غرفة أندريه.

استطاعت جوليا أن تدخل إلى البيت رغم الإجهاد الذي عانته من الرحلة الصامتة. هدأت أعصاب غاي ولكنها أحست أن عينيه نكادان تحرقانها من الخلف وكم أخافها هذا التحكم بأعصابه.

انتفض بها قائلاً:

ـ انزعي عنك هذا الروب حالاً.

لم يكن عندها نية في استعراض نفسها أمامه وهي على هذه الصورة.

ـ سأفعل ولكن في الطابق العلوي.

ابتسم لها أو ربما مط شفتيه فقط، وكأنه يرحب دوماً بتمردها. مزق عنها الروب المشؤوم وألقى به في الموقد فارتاعت جوليا وهي تراقب ألسنة النار تلتهمه قبل أن يغلق باب الموقد.

ـ هذا الروب لأندريه.

ـ سأدفع له ثمنه.

جزعت فجأة وحاولت الالتفاف بعيداً عنه ولكنه أمسك بها.

ـ لن تذهبي إلى أي مكان بدوني الليلة.. وللأبد. ربما سأكتشف إلى أي مدى ذهب أندريه في التعدي على شرفي.

ـ لم يفعل..

قطع احتجاجها بوضع يده على فمها وجرها بسهولة على الدرج. لم تستطع التقاط أنفاسها حتى وصلا إلى غرفته. رماها في وسط السرير الكبير من دون أن ينبس بحرف ثم شدها إلى ذراعيه بقسوة وأدار وجهها لتنظر إليه. كانت ترتجف من شدة الخوف ولم تستطع المقاومة. ارتعدت أوصالها عندما أمسك رأسها بطريقة جعلت الفرار منه مستحيلاً. فجأة شعرت أن العاطفة سيطرت عليهما بعدما عانقها وحاولت بيأس أن تسيطر على ردة فعلها لتجد القوة الكافية لتدفعه عنها.

كانت تريد أن يحبها غاي وأدركت أن الأمر أصبح مستحيلاً الآن. لقد

أحب لورين وهي المرأة التي يهمه أمرها. كان يعانق زوجته لكي ينتقم منها فقط لأنها اضطرته إلى ترك لورين والحفلة ولمحاولتها تلطيخ سمعته. وضعت يديها على صدره وأحست بدقات قلبه المضطربة.

ـ غاي! اسمعني من فضلك!

ـ لا.. إن كنت سأعلمك شيئاً واحداً فسأعلمك كيف تكونين زوجة وفية.

رن جرس الهاتف الموضوع إلى جانب السرير، ولما استمر بالرنين انطلق صوت غاي بالسباب والتقط السماعة وصرخ «نعم» وقال بعد لحظة: «يا إلهي، هل تجرؤ على ذلك؟»

عرفت جوليا أن المتكلم هو أندريه، شعرت بالبرودة تسري في عروقها وهي تلاحظ عودة الغضب إلى غاي.

انتفضت عندما سمعته يصرخ:

ـ أتقول إن أحداً أوقعها في بركة السباحة وإنها كانت نصف غائبة عن الوعي عندما أخرجتها، لماذا لم تقل لي ذلك؟

توقف قليلاً ثم استطرد:

ـ نعم، أنا أوافق، إنها غلطتي لأني لم أصغ، ولكن يبدو أني أصبح مجنوناً عندما يتعلق الأمر بجوليا. لا.. أنا أثقّ بكلامك وأعتذر. وأنا أشكرك. والآن أرجو أن تعذرني لأن عليّ أن أعتذر من جوليا أيضاً.

أضاف أندريه شيئاً آخر قبل أن ينهي المكالمة، شيئاً أخرس غاي. نسيت جوليا أمر الفرار وهي تراقب تقلصات عضلات فكيه وسمعته يستعلم بتثاقل:

ـ هل فعلت ذلك؟

كان تأثير ما قاله أندريه على غاي غريباً لأنه بدا ضائعاً وهو يضع السماعة في مكانها.

ـ غاي؟

لم يرد على توسلها الخفيض بل نهض عن السرير وابتعد. وجدت جوليا صمته مخيفاً أكثر من ذي قبل فهمست:

ـ ماذا قال أندريه لك؟

وضعت يدها على ذراعه لتخفف عنه فراح يحملق إلى يدها وتشنج وجهه بالألم.

ـ لقد قال إنك تحبينني.

«أوه» طأطأت جوليا رأسها وهي ترتعش كلياً، لأنها خشيت لبرهة قصيرة أن يقول له أندريه إنها تحبه هو ولكن شعورها بالفرج جعلها تترنح. كيف سيضحك عليها غاي في سره؟ ولد الحرج تهوراً... فلتكن له الضحكة الأخيرة!.

تكلمت بدون أن تستطيع النظر إليه وسمعت أنفاسه الثقيلة.

ـ إنه ينطق بالحقيقة. لقد أحببتك منذ البداية تقريباً، ولأنني أحببتك كثيراً حاولت أن أتركك.

حاول مقاطعتها ولكنها لم تدعه بل أكملت والدموع تنهمر من عينيها:

ـ وبدل أن أتركك وأترك لك الحرية لتتزوج لورين، أجبرتك على الزواج بي. أنا عبء وضع على كاهلك بصورة دائمة.

ناداها «جوليا» وأجبرها على السكوت لأنه أمسك بها فجأة بتصميم ويأس:

ـ أنت لا تعرفين عما تتكلمين. أنا لم أرغب في لورين أو في أية امرأة أخرى غيرك. لا تبكي يا حياتي. أنت الوحيدة التي أحببتها أو رغبت أن أحمل عبئها دائماً.

ـ ولكن كيف تقول إنك تحبني وبعد الظهر أخبرتني لورين على الهاتف أنك تسعى للطلاق؟

حدق غاي إلى وجهها الشاحب بوجه متجهم:

ـ لماذا لم تقولي لي شيئاً؟ لقد اخترعت لورين هذه القصة.

بدا فجأة أن لا شيء يهم. وكانت رغبتها الوحيدة هي إزاحة التوتر واليأس من عينيه وأدركت أنها وحدها تستطيع ذلك فاقتربت منه وشعرت بقوته عندما تعلقت به لتجعله يرى الشوق الكبير في عينيها.

ـ أنا أحبك يا غاي. أنا أريد...

وضاعت الجملة عندما وضع يده على فمها وعانقها بقوة وشغف..

استسلما للنوم بعد ذلك جنباً إلى جنب. وعندما استيقظت جوليا وجدته ينظر إليها ولاحظت أن خطوط التجاعيد على وجهه قد اختفت. وكان رأسها على كتفه وذراعه تطوقها. رفعت يدها إلى ذقنه وتلمست الشعيرات الخشنة التي نمت. ناشدته بصورة فجائية وهي تدرك أنها لن تستطيع أبداً فقده:

ـ لا تتركني!

عانقها مراراً قبل أن يجيبها وكأنه يريد أن يؤكد لها وهو يتمتم:

ـ على ما أذكر أنك أنت من كان يخطط لتركي. لم أعتزم قط أن أتركك فأنا أحبك حباً جماً.

ما زالت تجد صعوبة في الاستيعاب: هل أنت متأكد؟

ـ نعم.

انهمرت دموع الندم من عينيها:

ـ لو عرفت ذلك فقط لوفرت عليَّ وعليك عناء كبيراً.

أخبرها باستخفاف:

ـ أنا لا أطلق على ذلك كلمة «عناء» يا صديقتي العزيزة.

ثم أردف بصوت أجش جعل عينيها تتسعان من الخوف.

ـ كنت قاسياً معك. لا أظنني أسامح نفسي يوماً.

أصرت وهي تكره أن ترى الكبرياء تهجره..

ـ إنها غلطتي. لولا تسللي إلى الشاحنة بغية الرقاد في فراشك..

ـ أكنت حقاً تنوين أن تفعلي ذلك؟

ها هو أخيراً ينصت إليها ولهذا أومأت برأسها:

ـ لقد خططت لذلك ولكنني عرفت أنني سأعدل عن خطتي قبل أن أنام.

ارتفع حاجبيه: «إذاً وماذا أيضاً؟»

ـ أذكر أنني فكرت بالفرار.

- إنما ليس إلى منزل أندريه؟

سحبت نفساً ملؤه الألم:

- لا، ولكني لا أملك برهاناً.

نظر نظرة عميقة إلى عينيها الجميلتين، وقال لها ببطء:

- أنا أصدقك يا حبيبتي ولكن هل تصدقينني لو قلت لك إن لورين كانت تغذيك بأكاذيب كثيرة؟ لم أكن على علاقة معها يوماً ولم أحبها قط.

تأكدت جوليا أخيراً من كلامه ولم تتردد: نعم، أنا أثق بك.

انفرجت أساريره وعانقها ثانية.

- يبدو أننا نثق ببعضنا بعضاً، وهذا هو الامتحان النهائي للحب الصادق. لقد فقدت صوابي تماماً تلك الليلة، واتخذت مسألة ذهابك إلى منزل تيسبه ذريعة لأفرض عليك الزواج.

اكتسبت بشرة جوليا لوناً جميلاً وهي تهمس:

- أنا سعيدة لأنك استغليت ذلك الوضع ولكني ظننت أنك تزوجتني فقط لتحافظ على سمعة العائلة، وليس لأنك تحبني. غاي.. أعرف أن عليَّ ألا أذكر لورين ثانية ولكن هناك أمر واحد أخبرتني به ولا يزال يزعجني. لقد قالت إنك وعدت والدي بالاعتناء بي.

- لا، أقول لك ثانية إن لورين لفقت الأكاذيب. لم يطلب مني ذلك يوماً ولا أظنه توقع أن يموت وهو شاب.. الحقيقة أن مافيز رجتني لأقوم بذلك وأنا كما تعرفين أقدس الروابط العائلية، وعليه جئت إلى لندن لأصطحبك معي.

- فقط ذلك؟

حدق إلى عينيها الحائرتين وكأنه سيغرق فيهما بسهولة واعترف بصراحة:

- كانت كل النية عندي أن أدعوك للإقامة معنا لأنك شابة وكانت مافيز ترغب في ذلك، وهذا ما فعلته كما تعرفين جيداً يا حبيبتي. ولكن ما إن شاهدتك حتى شعرت بحذر شديد، لم أعرف ما هو هذا الشعور ولكن بدا

أن فيك شيئاً يهدد كياني الثابت. لماذا تظنين إنني كنت على عجلة لأزوجك؟ ولكن بعد تعرفك إلى بيار تخليت عن محاولة التخلص منك علماً أني كنت أرفض مواجهة الحقيقة. كان عناقك كالربيع الذي لا نستطيع الاستغناء عنه ومع ذلك لم أعترف بحبي حتى بعد أن منعتك من العمل مع ليون.

اعترفت له جوليا بلطف وهي تنظر بخجل إلى عينيه.

- لقد انتابني الشعور ذاته. لقد عرفت أني أحبك أكثر من بيار وأكثر من أندريه وأكثر من أي شخص آخر. ولكني لم أواجهك بهذا لأني كنت أعتقد أن قلبك ملك للورين. ولهذا أردت العمل عند ليون ولهذا رحت أخرج مع أندريه. كنت أحاول الهروب فقط. عندما منعتني أدركت أن الأوان قد فات وقررت بجنون أن آتي إلى هنا. ظننت أنهم إذا وجدوني في سريرك ستغضب وتشمئز بصورة تجعلك تطردني. كنت أريد أن أطلب منك قرضاً ليسعفني حتى أجد عملاً، وتخيلت أنك لن ترفض لأنك ستكون ملهوفاً جداً للتخلص مني.

- وعوضاً عن ذلك.. حصل العكس. ألم تدركي يا حبيبتي أنني ما كنت لأتركك تهربين أبداً؟ وما كان لأية قوة على الأرض أن تأخذك مني.

همست بصوت مرتجف من قوة العواطف:

- لماذا كنت مصمماً على عدم الإفصاح عن مشاعرك؟

- كنت خائفاً، أولاً لأنك شابة يافعة فيما أنا أقترب من منتصف العمر. كنت أعرف أنك منجذبة إليّ، ولكني أحسست كلما عانقتك أني أستغل سذاجتك. ولكن رؤيتك مع أندريه كادت تدفعني إلى الجنون وهذا ما جعلني أدرك أنني لن أستطيع أن أدعك ترحلين. أعتقد أنني جئت إلى إيجبان لأقاوم مشاعري في معركة نهائية. ولكن قبل أن أصل إلى هنا ولو استطاعت صغيرتي المخبأة في الشاحنة أن تقرأ أفكاري لعرفت أني استسلمت كلياً. كنت سأعود في اليوم التالي لأتوسل إليك حتى تصبحي زوجتي.

صرخت به:

ـ لم تكن بحاجة إلى التوسل، لأني أحبك كثيراً.

تمتم بصوت أجش: وأنا أحبك أيضاً.

اجتاحها شعور من السعادة الجارفة جعلت عينيها تبرقان: أوه، يا حبيبي.

ـ هل ما أراه على وجهك هو ابتسامة أنيقة؟ أوه يا حياتي سأعتني بك طول العمر، وسأبذل قصارى جهدي لئلا تتوقفي أبداً عن الابتسام.

طوقت عنقه بذراعيها وسمعت دقات قلبها التي أرادت أن تذوب به.

ـ يجب أن نتكلم عن أمور كثيرة.

ـ لاحقاً، كل ما أريد أن أعرفه الآن هو أنك لن تتوقفي عن حبي إلى الأبد.

رددت ذلك مرة تلو المرة. وأدركت جوليا أن ذلك وعد منها سيكون بمستطاعها الوفاء به.

لقد عرفت الآن قمة العاطفة والرضى. أما القمة الأخرى فستعرفها عندما تنجب له ولداً في المستقبل. وهذا ما تستطيع مواجهته بمنتهى الشجاعة. فحبهما سينمو ويزدهر ولن يكون هناك من يقدر على تحطيمه.

* * *

قراءة الكتاب